# الخلاصة في دروس العقيدة الطحاوية (2)

## الدرس الأول

الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- المؤمنَ يجبُ عليه أن يَلزم طريقةَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وطريقةَ الصَّحابة ويتبعها بإحسانٍ، وبهذا ينجو، قال ربُّنا -سبحانه وتعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

- الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم حذَّر مِن الافتراق في الدِّين، ومفارقةِ السُّنَّة والوقوعِ في البدعةِ، وحذَّر مِن الفِرَق المخالفة، وأخبر أنَّ مَن فَارقَ وخَرجَ عن سنَّته أنَّه مُتوَعَّد، فقال: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَا تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1].

  - المؤمنُ والمسلمُ في شرقِ الأرضِ وغربِها يَعقدُ العزمَ الجادَّ على اتِّباع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ولزومِ سنَّته -صلى الله عليه وسلم- وعلى اتِّباع طريقةِ الصَّحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والعَشْرة، وأهلِ بدرٍ، وأهلِ أُحدٍ، وأهلِ بيعةِ الرضوان، والمهاجرين والأنصارِ، فيعقدُ العزمَ على أن يسلكَ منهجهم رضي الله عنهم وأرضاهم- نسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعلنا وإيَّاكم ممَّن سارَ على هذا المنهجِ وجميعِ إخواننا المسلمين.

- الميثاق: مِن جملةِ الأمورِ التي أخبرنا الله -عزَّ وجلَّ- عنها في القرآن، وجاء في السُّنَّة الإخبار عنه.
والميثاق المراد به: العهدُ، وقد أخذه الله على آدمَ وذريَّته، يعني: أخذَ عليهم العهودَ والمواثيقَ على أنفسِهم، وأقرُّوا على أنفسِهم وشهدوا بذلك، والتزموا به، وهذا مذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [البقرة: 189].

- الله -عزَّ وجلَّ- يُذكِّر العبادَ يوم القيامة بهذا الميثاق، فهم في الدُّنيا قد نسوه، فكلُّ النَّاسِ في هذه الدُّنيا إذا وُلِدوا وخَرجوا وبَلغوا لا يَذكرون هذا الشَّيءَ، ولكنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لم يجعل هذا الميثاق وحده هو الحُجَّة التي

[1] معجم الطبراني (5028).

بها تنقطِع المعاذِير، وإنَّما جعلَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- الحُجَّة إرسالِ الرُّسل وإنزالِ الكتبِ، قال تعالى: ﴿رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

- مِن رحمةِ الله بعبادِه أن جعلَ لهم الدَّلائلَ ونصبَها وأظهرَها، دلائلٌ على ربوبيَّته، وأنَّه هو الذي يستحقُّ العبادة -سبحانه وتعالى- ولا يستحقُّ العبادَةَ غيره، والدَّلائل على صحَّة نبوَّة النَّبي صلى الله عليه وسلم وصدقه -صلوات الله وسلامه عليه- فهذه دلائلها كثيرةٌ جدًّا لا يمكن أن تُحصى، دلائلٌ شرعيَّةٌ، ودلائلُ الإجماع مِن الأمم، ودلائلُ شهاداتِ الأمم السَّابقة، ودلائلُ عقليَّة، ودلالةُ الفطرةِ، وإرسالِ الرُّسل، وإنزالِ الكتبِ، وقبل ذلك مِن جملة الأمور التي يُذكَّر بها العباد: المواثيق التي أُخذت عليهم قبل أن يُخلّقوا، ولهذا قال: (وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ) ، وإن كنَّا لا نذكره، ولكن الله -عزَّ وجلَّ- لما أخبرنا به علمنا أنَّه حقٌّ، فهذا مِن الغيب، كما أنَّ ما سيقع للعبادِ في البرزخِ بعد موتهم حقٌّ وإن كنَّا لم نشهده، فهذه أمور غيبيَّة، فنحنُ نؤمِن بما أخبرنا الله -عزَّ وجلَّ- به، وبما بيَّن في كتابه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

- الإقرارُ على أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- هو المعبود بحقٍّ، الإقرار بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة، فقوله في الحديث: «أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا» دليلٌ على إبطالِ جميعِ أوجه وصور الشِّرك، وتحريمها، وهذا يدلُّ على أنَّ معنى قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يعني معبودكم الذي أستحقُّ العبادة؛ لأنَّ الرُّبوبيَّة دليلٌ على الألوهيَّة، والعبادُ يقرّون بهذا، ولا يُنازِعَ في هذا إلا الشُّذَّاذ، ومنازعتهم مكابَرةٌ كما فعلَ فرعون وقومه، قال الله عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]، فالأنفس مُستيقنةٌ، ومُدرِكةٌ أنَّ هذا الكون له خالق، هو الذي خلقَ كلَّ شيء، وأنَّ فرعون لا يملكُ نفعًا ولا ضرًّا، وأنَّه مخلوقٌ، وأنَّه سوفَ يموتُ، يعلمون هذا، حتى فرعون يعلم هذا، وهو أكفرُ مُلحدٍ، فمَن دونه من الملاحدة مثله.

- فالله -سبحانه وتعالى- إذا حاسب الخلائقَ يوم القيامة يَعذر مَن لم تبلغه الرِّسالة والدَّعوة، ويُمتحَن يوم القيامة، هذا أصحُّ الأقوالِ فيهم -أنَّهم يُمتحنون يومَ القيامة- ولا يؤاخذهم الله -عزَّ وجلَّ- بقيامِ الميثاق، لأنَّهم لا يذكرونه، لكن مَن كفرَ في الدُّنيا وماتَ على الكفرِ وقد بلغته الدَّعوة والرِّسالة، فإنَّه يُحاسب على هذا وعلى هذا، فالدَّلائل التي قامت ونصبها الله على أنَّه يستحق العبادة وأنَّه رب العالمين لا تُحصَى كثرة، ولكن الله مِن رحمتِه بعبادِه أن جعل العقوبة مرتَّبة على إرسالِ الرُّسل، قال تعالى: ﴿رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، وليس معنى هذا أنَّ الكافر إذا لم تبلغه الدَّعوة أنَّه ليس بكافرٍ، إنَّما يُعامل بحسب مَا أظهر، فإذا أظهر أنَّه كافرٌ كأن يكون مِن النَّصارى أو مِن المجوسِ أو مِن اليهودِ، أو مِن غيرهم مِن الأمم الكافرة؛ فإنَّه يُضاف إلى ما أظهره، لكن إذا مات وهو لم تبلغه الدَّعوة فهذا يُمتحن يوم القيامة في أصحِّ الأقوال ، ويُلحق بأهلِ الفترة.

➢ الذي يظهر -والله أعلم: أنَّ الميثاقَ شيئًا آخرًا فوقَ الفطرةِ، وأنَّ العباد يُذكَّرون به، وفي المسألة خلاف بين أهلِ العلم، لكن المشهور عند جماهير أهلِ التَّفسير مِن أهلِ السُّنَّة والجماعة المتقدِّمين منهم والمتأخِّرينَ أنَّ الميثاقَ شيءٌ آخرٌ غيرَ الفطرةِ.

➢ المقصود والمهم في هذا: ألَّا يُجعل مجرد الميثاق هو الذي تقوم به الحُجَّة فقط، ولا حتى الفطرة يؤاخذ بها العبد، بل جعل الله الحجَّة قائمةٌ في إرسالِ الرُّسل. ومِن ذلك قول النَّبي صلى الله عليه وسلم: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**. وهذا الحديث في صحيح مسلم.

➢ **متى أخذ الله هذا الميثاق؟**

أخذه على آدم وذريَّته قبل أن يُوجدوا ويُخلقوا، استخرجهم مِن ظهرِ آدمَ، وأخذَ عليهم وهم في ظهرِ أبيهم آدم ألا يشركوا بالله شيئًا.

◈ الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ أحدُ أركانِ الإيمانِ السِّتَّة المذكورة في حديث جبريل لَمَّا سأل النَّبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، قال: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**[٢].

➢ **الإيمان بالقدر يتضمَّن أربع مراتب:**

- **المرتبةُ الأولى**: الإيمانُ بعلمِ الله القديم: عَلِمَ الله كلَّ شيءٍ، عَلِمَ ما كانَ وما سيكونُ، وما لم يكنْ لو كانَ كيفَ كانَ يكونُ.
- **المرتبةُ الثَّانيةُ**: الكتابةُ: كَتَبَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- مقاديرَ الخلائقِ في اللَّوح المحفوظِ.
- **المرتبةُ الثَّالثةُ**: المشيئةُ: فمَا شاءَ اللهُ كانَ وما لم يشأ لم يكن.
- **المرتبةُ الرَّابعةُ**: الخلقُ، فالله خالقُ كلِّ شيءٍ، لا خالقَ غيرَه، ولا ربَّ سواه.

➢ **لو قال لك قائل: اشرح لي كيف أؤمن بالقدر؟**

تقول: تؤمنُ بعلمِ اللهِ الشَّامل المحيط بكلِّ شيءٍ، وبالعلم السَّابق، فهو علم كلَّ شيء قبلَ أن يخلق المخلوقات، وتُؤمنُ بأنَّ اللهَ كتبَ مقاديرَ الخلائقِ في اللَّوحِ المحفوظِ، فلا يقع شيءٌ إلا وهو مكتوبٌ، وتُؤمنُ بمشيئةِ الله النَّافذة، فما شاءَ الله كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، وتُؤمنُ بأنَّ الله خالق كلِّ شيء، لا خالقَ غيرَه، ولا ربَّ سواه؛ إذا آمنتَ بهذا آمنتَ بالقضاءِ والقدرِ، وهناك تفاصيل ستأتي تباعًا.

◈ لا أحدَ مِن الخلقِ يعلم ماذا كتب الله، لا أحدَ يعلم الغيبَ إلا الله -سبحانه وتعالى- وهذا يدعو المؤمن إلى الثَّبات، وإلى الصَّبر على الحقِّ وعلى طريقِه، والحقُّ هو الإسلامُ، وهو الإيمانُ،

---

[٢] صحيح مسلم (8).

وهو الإحسانُ؛ فيثبتَ عليه، ويدعو العاصي والفاجرَ والمنافقَ، والكافرَ إلى الرُّجوع عمَّا هم عليه قبل أن يفجأهم الموت، لا أحد يقول: أنا مكتوب عليَّ كذا أو كذا...، ما أحد يعلم الغيب، ولكن الله -عزَّ وجلَّ- هو وحدَه الذي يعلمُ كلَّ شيءٍ -سبحانه وتعالى.

- عِلمُ الله شاملٌ، وهو محيطٌ بكلِّ شيءٍ، في عددهم، وفي أفعالِهم وأعمالِهم، وتفاصيل أمورهم، قال: (وَكَذَلِكَ أَفْعَالَهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ) ، كلُّ أفعالِ العبادِ مقدَّرةٌ، الله -عزَّ وجلَّ- علم أنَّ هذا يُطيع قبل أن يُطيع، والله -عزَّ وجلَّ- علم أنَّ هذا يعصي قبل أن يعصي، والله -عزَّ وجلَّ- علم أنَّ هذا يبني، وأن هذا يركض، وأن هذا يمرض؛ كلُّ هذه الأمور والأفعال التي تقع لهم قد علمها الله قبلَ أن يخلقَ الخلقَ.

- لا يُحتجُّ بالكتابة السَّابقة على فعل المعاصي، ولا يُحتَجُّ بالقدرِ على فعل المعاصي، مَن فعل هذا فهو من الزَّائغين.

- قال: (وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) ، هذا كلام النَّبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» [٣]، فلا تدع العملَ الصَّالح والإيمان، فهذا نجاتك، هذه سعادتك، هذا فلاحك في الدُّنيا وفي الآخرة، «اعْمَلُوا» هذا كلامُ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم جوابًا على كلام الصَّحابة رضي الله عنهم: "أفلا ندع العمل ونتَّكلُ على الكتاب؟!" إذا كنَّا من السُّعداء فنحن في الجنَّة، وإذا كنَّا من الأشقياء فما الفائدة من أعمالنا؟!

  - حافظ على توحيدك، حافظ على إسلامِك، حافظ على اتِّباعِك للنبي صلى الله عليه وسلم حافظ على الصَّلوات الخمس في أوقاتها، حافِظ على أداءِ الزَّكاة المفروضة عليك، وصيامِ رمضان، وحجِّ بيت الله الحرام، حافظ على برِّك بوالديك، كلُّ هذه الأعمال الصَّالحة قم بها حتى تنجو.

- قول النَّبي صلى الله عليه وسلم: «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، فأهلُ السَّعادة يُيسَّرُون لعملِ أهلِ السَّعادة، وأمَّا أهلُ الشَّقاوة فيُيَسَّرُون لعملِ أهلِ الشَّقاوةِ، فإذا رأيتَ نفسكَ مُقبلة على الطَّاعة، وثابتًا على الإسلام؛ هذا عملُ أهلِ الشَّقاوة أو أهلِ السَّعادة؟

  - هذا عملُ أهلِ السَّعادة، فاحمدِ الله على هذا ولا تغترَّ بنفسك، واحذر من الزَّيغِ، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: 8].

- إذا رأى الإنسانُ نفسَه على الفجورِ أو ما أشد مِن الفجورِ؛ فهذا عملُ أهلِ الشَّقاوةِ؛ فيحذر ويتقي، ويتوب، ويسارع إلى الإقلاع عن الذَّنبِ، وعن الضَّلالِ، وعن الكفرِ حتى يعملَ بعملِ أهلِ السَّعادة وينجو، هذا هو

---

[٣] صحيح البخاري (4593).

الواجب على كلِّ مسلمٍ، وهو أن يعملَ ويجتهدَ، ويسعى لفكاكِ نفسِه مِن عقوبةِ اللهِ، ولا يكونُ هذا إلا بالطَّاعةِ والتَّقوى والعملِ الصَّالحِ، والإيمان.

➢ **هل الإنسان مُسيَّرٌ أم مُخيَّرٌ؟**

لا تقل هذا ولا تقل هذا، كلا اللَّفظين فيه خطأ، وقل مثلما قال النَّبي صلى الله عليه وسلم تَسلَم، ولهذا فالتَّعبير بالألفاظ الشَّرعيَّة خيرٌ للمؤمن، وخيرٌ لطالب العلم، ولأنَّ في إطلاقِ لفظ "مسير ومخير" بعضُ التَّجاوزات، ولكن قل: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

◈ إذا أنت عملت عملَ أهل السَّعادة يسَّرك الله لعملِ أهلِ السَّعادة وتدخل الجنَّة، وإذا قمتَ بعملِ أهلِ النَّار يُسِّرتَ لعملِ أهلِ النَّار وتدخل النَّارَ -نعوذ بالله- نسأل الله أن يدخلنا الجنَّة ويجيرنا من النَّار.

➢ الأفضل للمؤمن أن يُعبِّر بالتَّعبيرات الشَّرعيَّة، ويلتزم بالألفاظ الواردة في الكتابِ والسُّنَّة؛ فهذا أسلمٌ له، لأنَّ الإطلاق في قولك "مسيَّر" فيه بعض التَّجاوز، فهل الإنسان مجبرٌ في كلِّ شيءٍ؟ لا، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: 7-10]، أنت الآن تقدرُ أن تقومَ، وتقدرُ أن تجلسَ، تقدرُ تأخذَ القلمَ، وتقدرُ أن تتركه، تقدرُ أن تكتبَ خيرًا أو تكتبَ شرًّا. فلا تقل: أنا مسيِّر، وتحاول أن تتخلَّص من تبعاتك؛ فأنت محاسبٌ عليها، لأنَّك مسؤول عن تصرفاتك، فالله أعطاكَ عقلًا، وأعطاكَ قدرةً، وأعطاكَ إرادةً.

➢ إذا قلت: أنا مخيَّرٌ؛ قد يتبادرُ بذهنك أنَّك بالفعلِ عندك حُريَّة وقدرةٌ وإرادةٌ، لكن بعض النَّاسِ -خاصَّة بعضُ المعتزلة والقدريَّة- يريدون بذلك أنَّك مستقلٌّ عن مشيئةِ الله، فهذا غلطٌ عظيمٌ، فلا تقلْ هذا ولا هذا؛ بل احفظ كلامَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وقلْه، وعلِّم النَّاسَ هذا «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

◈ أوَّلُ طريقِ الجنَّة، أنَّكَ تُطيع الله -عزَّ وجلَّ- وتطيعُ الرَّسولَ صلى الله عليه وسلم وهذا يُشجِّعك على الثَّباتِ، حتى العاصي يُذكَّر ويُخوَّف بالله، فيقال له: أنت إذا استمررت على هذا المنوال السَّيئ فأنت على خطرِ أن تقعَ في النَّار؛ فأقلِع عن هذا الذَّنبَ، وتُب إلى الله، وبادر بالتَّوبة قبلَ أن يفجأك الأجلُ، ولا تُسوِّف فربَّما يهجمُ عليك الموتُ.

➢ مِن فضلِ الله على عباده أنَّ الموفَّق للطَّاعات والموفَّق للعملِ الصَّالح أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يُثبِّته، وهذه بشارةٌ للمؤمن، ولكن هذا فيه تخويفٌ لكلِّ مسلمٍ ألا يتساهل في أمورِ الدِّين، لأنَّ بعضَ الكلمات تُخرج مِن الملة، مثلَ الاستهزاء بالدِّين الإسلامي، بعضُ النَّاس يدخلُ مجلسًا ويجدُ مَن يستهزؤون بالإسلام وبالنَّبي صلى الله عليه وسلم فيشاركهم ويضحك معهم وينقل كلامهم راضيًا به؛ فيستحق سخطَ الله، فبعد أن كان يعمل بالطَّاعة حَصَلَ له هذا الشَّيء، ولهذا يعظُم خوفُ المؤمن على إيمانه، لأنَّ أعظمَ كنزٍ عندك هو الإيمان والإسلام، فأعظمُ منَّةٍ منَّ الله بها عليك أنَّك مسلم، فهذا الإسلام هناك مَن يريد نقلك عنه وزعزعة قلبك

عنه حتى تخرج منه؛ وهو عدو الله الشيطان، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6]، ولهذا اثبُت على الإسلام، تأتي فتنٌ وعواصفٌ من الشُّبهاتِ أو الشَّهوات؛ فاثبُت على الإسلام، واسأل ربَّك الثَّباتَ، قلْ: يا مُقلِّبَ القلوبَ ثبِّت قلبي على دِينِك، نسأل الله أن يهدينا ويكفينا شر أنفسنا.

- قوله صلى الله عليه وسلم: **«الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»**، يجعل المؤمن حريصًا على الثبات، وأيضًا يخشى على نفسه، وأيضًا يسأل الله -عزَّ وجلَّ- ألا يكون مغترًّا بعمله، وجاء في صحيح البخاري لما أورد حديث عثمان في صفة وضوء النَّبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه: **«مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[٤]، فهذه بشارةٌ عظيمةٌ قالها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم.

- قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تغتروا»**[٥]"، فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، يرجو فضل الله -عزَّ وجلَّ- ويسأل الله الثبات.

فهذا يجعلنا نخاف على أنفسنا ونرجوا فضلَ ربّنا، نجمعُ بين الخوفِ والرَّجاءِ، نخافُ على أنفسنا فنحذر مِن أهلِ الباطلِ وأهلِ الشَّرِّ وأهلِ البدعِ وأهلِ الأهواءِ، وأهلِ النِّفاقِ، ونلجأُ إلى ربّنا وندعوه ونضطَّرُ إليه، ونسأله أن يختمَ لنا بالخاتمةِ الحسنَةِ، لأنَّ قوله صلى الله عليه وسلم: **«الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»** يعني إذا خُتِمَ للعبد بشرٍّ صار إلى شرٍّ وطُبِعَ على عمله بالشِّرِّ حتى لو تقدَّم هذا الشَّرَّ بعضُ الخير لم ينتفع به إذا كان هذا الشَّرُّ مخرجًا له عن المِلَّةِ، أمَّا إن لم يكن مخرجًا له من المِلَّة كالمعصيةِ فهذا يُنقِّصُ حاله وإن كان مسلمًا، لكن إذا خَرَجَ عن ملَّةِ الإسلامِ فهذا هو الخطرُ العظيمُ.

- السَّعيدُ حقيقةً ليس الذي يركبُ الفاخرَ أو يأكلُ ما اشتهى، أو يسكنُ أينما اشتهى؛ إنَّما السَّعيد مَن سَعِد بقضاءِ الله، وقدَّر الله وكتبَ أنَّه مِن أهلِ الجنَّة، وهو في عمله في الدُّنيا يعملُ بعملِ أهلِ الجنَّة.

- اجتهد أيُّها المؤمن، واجتهد يا طالبَ العلم في سعادتِكَ ونجاتِكَ وصلاحِكَ، هذا هو السَّعيدُ حقيقةً، والحياةُ الطَّيبةُ ذكرها الله في سورة النَّحل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97]، الحياة الطَّيبة في الدنيا وفي الآخرة.

- يُروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **"الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ"**[٦].

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

---

[٤] صحيح البخاري (161)
[٥] صحيح البخاري (6433).
[٦] رواه الإمام مسلم من كلام عبد الله بن مسعود (4789).

# الدرس الثاني

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- تقدير الله -عزَّ وجلَّ- لأمورِ خلقِه وتدبيره لهم لحكَمٍ ومصالحٍ وغاياتٍ يعلمها ربنا-سبحانه وتعالى- فأعطى هذا، ومنع هذا، وأغنى هذا، وأفقر هذا، وأحيا هذا وأمات هذا؛ هذا لأفعال ولحكم ولغايات يعلمها الله -سبحانه وتعالى- فلا تكشفْه، ولا تَخُضْ فيما لا يَعنيك، ولا تسألْ عمَّا ليس لك به طاقة ولا علم لك به، هذا معنى **"الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تَكْشِفْهُ"**.

- فالخوضُ في القدرِ: أن تَسأل أحدَ السُّؤالين الخبيثين، سؤالين يدسُّهما الشَّيطان في قلب الملاحدة وفي قلب المفتونين:
  - **السؤال الأوَّل:** يقول: لِمَ فعل ربنا هذا؟ لِمَ أعطى هذا ومنع هذا؟ على وجهِ الاعتراض.
  - **السؤال الثَّاني:** أن يقول: كيف فعل هذا؟ على وجه الاعتراض.

  - الله –عزَّ وجلَّ- أفعاله كلها حِكمة، وغايتها حميدة، وأنتَ أيُّها العبد لا تستطيع ولا تقدر أن تعرف عشر معشار ذلك، فلكمال ربنا -سبحانه وتعالى- لا يجوز أن يعترضَ العبادُ عليه، ولا أن يُعقبوا لحكمه، فالله لا مُعقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه -سبحانه وتعالى.

- الله -عزَّ وجلَّ- سَتَرَ القَدَرَ عَن خلقِه، فلا أحد يعلم ماذا سيقع، ولماذا أعطِيَ هذا ومُنعَ هذا؛ لا أحد يعلم، الله الذي يعلم -وحده لا شريك له.

- لا يجوز للعبد أن يخوض في القدر على وجه الاعتراض على الله -سبحانه وتعالى-مَن أنت أيُّها العبد المسكين؟! فعقلك محدود، كيف تعترض على الله سبحانه؟! ألم تُخلَق أنت من عدمٍ؟! ألم تُخلَق ولستَ بشيءٍ ولا تعلم شيئًا؟! الله -عزَّ وجلَّ- ألهمك، ومدَّةُ حياتك في الدنيا محدودة؛ إذن كيف تعترضَ على الله -سبحانه وتعالى ؟! كيف تتألَّى على الله -سبحانه وتعالى؟!

- **متى كُتبت المقادير؟**

  قبل أن يخلق السماوات بخمسمئة ألف سنة.

- **هل اطَّلع أحدٌ على الغيب؟**

لا أحد يعلم الغيب حتى الرسل، قال الله -عزَّ وجلَّ- لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الأنبياء والرسل: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: 188]، لأنَّه صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، وقول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: 65].

- أمَّا السَّعيد فعنوان السَّعادة: إذا أُعطِيَ شكر الله ونَسَبَ النِّعمة إلى الله -سبحانه وتعالى- وإذا ابتُلِيَ المؤمن السَّعيد صبر واحتسب، وقال: هذا بقضاء الله وقدره، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، قال علقمة -رحمه الله: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ. فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَيُسَلِّمُ لذَلِكَ وَيَرْضَى"[٧]، يصبر لأمر الله ويستسلم، ما يشغل باله لماذا كذا، ولا يجزع ولا يتسخَّط كالشقي.

- يجبُ على المسلم في باب القضاء والقدر الحذرَ، وأن يستسلمَ لأمرِ الله -سبحانه وتعالى- الكونيّ، وأمَّا الشَّرعُ فيعمل به، فيعمل بالأوامر، وينتهي عن النَّواهي، وإذا حصل منه تقصيرٌ بادر إلى التَّوبةِ والاستغفارِ ولا يصرُّ على الذَّنب، هذا الواجب على المؤمن، إذا أُعطِيَ شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

- في الحديث قال: «فإذا بلَغه فلْيَستَعِذْ باللّهِ ولْيَنتَهِ»[٨]، وليقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: 3]»[٩]، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم **بثلاثة أنواع من أنواع العلاج يحتاج إليه كل مسلم:**

- **النَّوع الأوَّل:** الاستعاذة بالله.

ومعنى الاستعاذة: اللجوء والاعتصام بالله -سبحانه وتعالى- فيقول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، ولا يسترسل.

- **النَّوع الثَّاني:** قال «ولْيَنتَهِ» أي: يوقِف التَّفكير في هذا، لا يستمر في التَّفكير وتسريح الأفكار في هذا المجال.

هذا إذا كان وسواس، فما بالك بمَن يذهب إلى مجالسِ الملاحدة والزنادقة وأعداء الله الذين ينشرون المذاهب العلمانية الكافرة، أو المذاهب الليبرالية الخبيثة، أو الاشتركيَّة، أو الشُّيوعيَّة، أو غيرهامن المذاهب الأرضية الباطلة المضادَّة لدين الله وللكتاب وللسُّنة؟!

فالمؤمن يبتعد عنهم، إلا مَن وفَّقه الله لجهادهم والرَّد على أباطيلهم، والرد على تُرَّهاتهم وخباثتهم وخداعهم للنَّاس، هذا مشكور إذا كان عنده قدرة واستعداد علمي، وهو مؤهل لذلك.

---

[٧] ذكره الطبري في جامع البيان في تفسير قوله: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}(31772)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان كحديث مقطوع (9312).

[٨] صحيح البخاري (3276).

[٩] جاء عند أبي داود فقي السنن (4448) وصححه الشيخ الألباني من حديث سماك بن الوليد: قال: قال لي ابن عباس: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا، فَقُلْ : هُوَ الْأَوَّلُ، وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ، وَالْبَاطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "

المقصود: هو الحذر مِن الخوض في القدر، المؤمن يتعلَّم ما علَّمه الله، فالله علَّمنا مراتب القدر، **فنؤمن بالمراتب الأربعة:**

- نؤمن بعلم الله الشَّامل المحيط بكل شيء.
- ونؤمن بأنَّ الله كتبَ مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.
- ونؤمن بأنَّ مشيئة الله نافذة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
- ونؤمن بأنَّ الله خالق كل شيء، فما من شيء في السماء ولا في الأرض إلا الله خالقه، لا خالق غيره، ولا رب سواه.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[١٠] فلا تتنطَّع، ولا تنشغل بما لا يعنيك، وانشغل بما يعنيك، فالذي لا يعنيك اتركه، والذي يعنيك اعمل به واحرص عليه.

**ماذا يفعل المؤمن إذا جاء في قلبه هذه الوساوس؟**

يقول:

**أولاً:** أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم.

**ثانيًا:** ينتهي. فلا يسترسل، ولا يسمح لنفسه بالتفكير في هذا، ويتوقف عن هذا.

**ثالثًا:** يقول: رضيت بالله ربًّا، وهذه كلمة عظيمة جدًّا. مَن الذي يُدبِّر؟ مَن الذي يرزق؟ مَن الذي قسم الأرزاق؟ مَن الذي خلق الخلق؟ مَن الذي أحيا وأمات؟

كلُّ مؤمنٍ على وجهِ الأرض يحتاج إلى هذا، أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويُسلِّم، ويرضى بما قسمه الله له، ولا يسأل على وجه الاعتراض، ولا يعترض على الله في قضائه وقدره؛ بل يرضى ويسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» **يشمل أمرين عظيمين:**

- ما ينفعك في دينك.
- ما ينفعك في دنياك.

هذا يدعوك للأخذ بأسباب القوة في حفظ القرآن، في تعلُّم العلم النَّافع، في المحافظة على الصَّلوات، في برِّك بوالديك، في صِلتك لرحمك، في دراستِك، في عملِك، في الخيرِ وأوجهه. هذا في أمور الدين.

---

[١٠] صحيح مسلم (4829).

- كذلك في أمور الدنيا احرص على ما ينفعك، ابحث عن العمل المناسب لك، اجتهد في تحقيق الشهادات المناسبة حتى توفر لك العمل الطيب، اجتهد في زرعك، في حرثك، في نجارتك -إن كنت نجارًا- أو حدَّادًا، أو خيَّاطًا، أو أي عمل كنت عليه، احرص على ما ينفعك.

- قال: «**وَلَا تَعْجَزْ**»، اترك التَّكاسل والتَّماوت، والتَّراخي، وعدم أخذِ الأمور بجدٍّ، فالعجز لا خير فيه، والنَّبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من العجز [11]؛ لأن العجز يضر، فلا تعجزن ما دام أن الله أعطاك قوَّة فلتكن همتك عالية.

- لا تقل: لو أنِّي ذلك اليوم جئت للسُّوق مبكرًا لحصلت على الصَّفقة الفلانية..، لا، ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

- هنا «**لو**» في هذا المقام تفتح عمل الشَّيطان والوساوس، بل عليك أن تقول: الحمد لله، هذا شيء مكتوب، هذا رزقي، وأنا في بطن أمي مكتوب لي هذا، لا يزيد ولا ينقص.

- لابد أن نؤمن بالقدر مع الأخذ بأسباب الخير والفلاح والسعادة والسلامة، وإذا قوي إيمان العبد علم أن الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي تفضَّل، ويُنعم على من يشاء، فلا يحسد أحدًا على شيءٍ أعطاه الله -عزَّ وجلَّ- هذا من قوة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النساء: 32]، يكفيك أن تسأل الله من فضله، لا تقل: لماذا أعطاه الله كذا؟ لا تتمنى، حتى التَّمني منهيٌّ عنه ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ**﴾، فلا تنظر لأحد، إنما انظر إلى ما عند الله عزَّ وجلَّ، ولذلك قال في آخر الآية: ﴿**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾، فإذا مثلًا أعجبك عِلمَ عالمٍ، أو أعجبك حُسنَ خُلقِ أحدٍ، أو أعجبك حرصَ أحد على الخير وقيام الليل والصِّيام، فلا تقل في قلبك: هذا كذا وأنا كذا! لكن قل: اللهم إني أسلك من فضلك، اللهم كما تفضلت على إخواننا فتفضل علي يا ربّ، اللهم اهدنا فيمن هديت.

- لا نحسد أحدًا لأن هذا من أخلاق اليهود -قبحهم الله- قال الله تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النساء: 54]، فالمسلم يزكي نفسه عن هذا الخلق الذميم، ولهذا فإنَّ الإيمان بالقدر إذا قويَ وصلُحَ في قلبك ذهبَ عنك الحسد، وإذا ضعف جاءه الحسد.

- مِن علاج الحسد أن تتذكَّر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» [12]، فهذا علاج الحسد، افرح أنَّ هذا رُزِقَ أولادًا حتى وإن لم تُرزَق أنت أولاد، تقول: الحمد لله، الله يزيده من الخير، الله يبارك له، واسأل الله من فضله، ولا تحسد أحدًا على نعمة أعطاها الله إياه.

---

[11] صحيح البخاري (2823) الحديث: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ العَجزِ والكسَلِ، والجبنِ والهرَمِ وأعوذُ بِكَ من فتنةِ المَحيا والمماتِ، وأعوذُ بِكَ مِن عذابِ القبرِ".
[12] صحيح البخاري (12).

- اللوح المحفوظ: الذي كتب الله-عزَّ وجلَّ- فيه مقادير الخلائق، والذي كُتب فيه كُتب بالقلم، هذا القلم الذي جرى بما هو كائن أخبر عن ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال: « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عزَّوجلَّ الْقَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [١٣]. وفي رواية: «اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» [١٤]. وهذا حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

- القلم الذي خلقه الله-عزَّ وجلَّ- كتب الله به مقادير الخلائق، فما مِن شيءٍ إلا وقد كُتب وعُلم، وهذه المرتبة الأولى والثَّانية.

  - **المرتبة الأولى:** علم الله الشَّامل المحيط بكل شيء.
  - **المرتبة الثَّانية:** كتابة الله مقادير الخلائق، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ . [الحديد: 22-23]. وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، فهذا القلم أول الأقلام وأشرفها وأفضلها، وهو القلم الذي كتبت به مقادير الخلائق كلها.
  - **المرتبة الثالثة:** الكتابة التي تكون كل سنة في ليلة القدر، فليلة القدر قال اللهعزَّوجلَّ عنها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: 4]، وهذه الكتابة سنويَّة، يُكتب فيها مقادير السَّنة.
  - **المرتبة الرابعة:** كتابة عمريَّة: يُكتب بها ما يقع لكل إنسان وهو في بطن أمه، كما في حديث عبد الله بن مسعود، قال: « ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» [١٥]، فهذه كتابة للعمر كله.
  - **المرتبة الخامسة:** كتابة يوميَّة: وهي التي بأيدي الملائكة، وقيل هي المراد في قول الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39].

- الأقلام التي يُكتب بها المقادير جفَّت وانتهت، وطُويت الصَّحائف التي كُتبت فيها مقاديرك، فالحمد لله هذا يجعل المؤمن يرضى ويسلم، وكما قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23]، وهذا معنى قوله: (فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ).

---

[١٣] كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (774)،صححه الألباني في التعليق على الطَّحاوية (33)، وصححه ابن عثيمين في تفسير القرآن الكريم.
[١٤] سنن أبي داود (4080).
[١٥] صحيح البخاري (2987).

- فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي يعلم كلَّ شيء، أمَّا أنت لا تعلم، فعليك أن ترضى وتُسلِّم لِما قضى الله -عزَّ وجلَّ- وقدَّر، والله -عزَّ وجلَّ-يعلم ما كان وما سيكون، وما كان لو كان كيف كان يكون، وعلم الله شامل محيط بكل شيء.

- الذي لم يؤمن بالقدر لم يؤمن بالله -عزَّ وجلَّ- ولم يُوحِّد الله، لأنَّ الإيمان بالقدر مِن تمام الإيمان بتوحيد الرُّبوبيَّة، فالذي قدَّر المقادير وخلق ورزق وقسَّم الأرزاق؛ هذه أفعال الرَّبِّ -سبحانه وتعالى- فإذا أنكر ذلك العبد لم يؤمن بالرُّبوبيَّة، وإذا علم أنَّ الله هو الذي قدَّر وقسم ورزق ورضي بذلك؛ فهذا من توحيد الرُّبوبيَّة.

- إذا أنكرَ القدرَ فهذا إخلالٌ بتوحيدِ الأسماء الصِّفات، فإذا قال: إن الله لم يعلم الأشياء قبل حدوثها؛ فهذا أنكر صفة العلم، ومَن أنكر صفة العلم فهو كافر.

- إنَّ الذي ينكر أنَّ الله بيده المقادير إذا دعا الله -عزَّ وجلَّ- فدعاؤه ضعيف، ولهذا ممَّا يُنكَر على المعتزلة أنَّهم لا يرون أنَّ الأمور بيد الله -عزَّ وجلَّ- نسأل الله العافية والسلامة، حتى في الدُّعاء يضعف حالهم جدًّا.

    - الإيمان بالقدرِ نعمة، ولا يتمُّ إيمانُ العبدِ ولا إسلامُه إلا به، فعلى المسلم أن يرضى ويسلِّم لقضاءِ الله وقدره، وفي مقام الشَّرع يمتثل للأوامر وينتهي عن النَّواهي، ويستغفر الله عما حصل من التَّقصير.

    - ليحذر المسلم مِن مجالسة أهلِ البدع وأهلِ الإلحاد، وأهلِ الخوضِ في القدرِ، أو النَّظرِ في كلامهم أو كتبهم؛ فإن هذا من أسباب الانحراف.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس الثالث

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- العرشُ ذكرَه اللهُ -عزَّ وجلَّ- في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابِه -سُبحَانَه وتَعَالَى- وجاء في سُنَّة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- **ووصفه الله -عزَّ وجلَّ- بأوصافٍ عظيمةٍ:**

    - وَصَفَ اللهُ العرش بأنَّه العرش المجيد ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ [البروج: 15].
    - وصَفَه اللهُ -عزَّ وجلَّ- بأنَّه العظيم.
    - قالَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في وصْفِ نفسِه -سُبحَانَه وتَعَالَى: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ [غافر: 15].

- وذَكَرَ أنَّ هذا العرشَ العظيمَ تحملُه الملائكة، أربعةٌ في الدُّنيا -كما ثبتَ في السُنَّة [16]- ويومُ القيامة ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 17].
- وصف بأنَّه العرش الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: 116].

- بيَّنَ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- أنَّه استوى على العرش بعدما خلقَ السَّماواتِ والأرضَ، في سبعِ مواضعٍ من كتاب الله -عزَّ وجلَّ.

- إثباتِ صفةِ العلوِّ لله -سُبحَانَه وتَعَالَى- فالعرشُ هو سقفُ المخلوقاتِ، وأعلَى المخلوقاتِ، كما قال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ» [17]، فالعرش فوق المخلوقات.

- الله فوق العرش، وهو مُستغنٍ عَن العرشِ وما دونَه، الله -عزَّ وجلَّ- لَمَّا استوى العرشِ ليسَ لحاجتِه -سبحانه- فإنَّ الله غنيٌّ عن العرشِ، وغنيٌّ عن خلقِه كلِّهم؛ بل العرش ومَن دونَ العرشِ مُحتاجون إلى الله، مُفتقِرون إلى اللهِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: 41].

- في لُغةِ العرب: العرش هو سرير الملك، وعرش الله لا يُوصَف، ولا يَبلغ العباد حقيقته وَكُنْهَهُ؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لم يذكر لنا صِفة العرش وهيئتِه، وإنَّما وُصِفَ بالصِّفات التي سَبق ذكرها، أنَّه عرشٌ عظيمٌ، وأنَّه كريمٌ، وأنَّه مجيدٌ، ونحو ذلك؛ لكن كيفيَّة هذا العرش لا نعلمها، لكنَّه أعظم من المخلوقات كلِّها.

- كان النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- يقول في دعاء الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» [18].

---

[16] جاء في لفظ الحديث: فينزِلُ تبارك وتعالى يَحمِلُ عرشَه يومئذٍ ثمانيةٌ، وهمُ اليومَ أربعةٌ"، أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الأهوال)) (155)، ومحمد بن نصر المروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (273)، والطبري في ((تفسيره)) (4939) واللفظ له، وضعفه ابن حجر والزيلعي.
وعند أحمد في مسنده وصححه أحمد شاكر (88/4):" أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صَدَّقَ أُميةَ في شيءٍ من شِعْرِهِ فقال:
رجلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينِهِ ** والنسرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ .
فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "صَدَقَ"، وقال:
والشمسُ تطلعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ ** حمراءَ يُصبحُ لونُها يَتَوَرَّدُ
تَأْبَى فما تطلعُ لنا في رِسلِها ** إلا معذَّبةً وإلا تُجْلَدُ .
فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "صَدَقَ". [أخرجه أحمد في مسنده ( 256/1)، والدارمي في سننه كتاب الإستئذان ( 296/2)، والبيهقي في الأسماء والصفات (206/2-207، رقم771)، وأورده ابن كثير في النهاية ( 12/1)، وقال: [حديث صحيح الإسناد، ورجاله ثقات] وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة].
وهذا القول رجحه ابن كثير [تفسير ابن كثير ( 71/4)]، وابن الجوزي [زاد المسير ( 208/7)]، وقال هو قول الجمهور [زاد المسير ( 350/8)] ويستدل لهذا القول بعدة أدلة منها ما رواه الطبري بسنده عن ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قال: «هم اليوم أربعة» يعني حملة العرش «وإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية» [انظر تفسير الطبري (59/29)].

[17] صححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ( ج 3 / ص 49).

[18] صحيح البخاري (5897).

◆ العرشُ أعظمُ المخلوقات، وهو أعظم من الكرسيِّ، فالكرسيُّ أيضًا أعظمُ مِن السَّماواتِ والأرضِ، وجاءَ في الأثرِ عن السَّلف أنَّ الكرسي هو: "موضع القدمين" [١٩]، والعرش لا يقدر قدره إلا الله -سُبحَانَه وتَعَالَى.

- الله خلقَ السَّماواتِ، وخلقَ الأرضين، وخلقَ العرشَ، وخلقَ الكرسيَّ، واللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ؛ وكلُّ هذا يدلُّ على عظيمِ قدرةِ الله، وعظيمِ خلقِه، وبديعِ صنعِه -سُبحَانَه وتَعَالَى- وهذه الأمور توجب للمؤمنِ تعظيمَ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- فالمؤمنُ يؤمنُ بما جاءَ في النُّصوصِ الشَّرعيَّة، ويؤمنُ بعظمةِ هذه المخلوقات التي عظمتها تدلُّ على عظمةِ خالِقِها -جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه سُبحَانَه وتَعَالَى.

- **كيفَ هيئةُ العرشِ وكيفَ هيئةُ الكرسيِّ؟**

نقولُ: لا يَعلمُ ذلك إلا الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وقد أخفى الله -عزَّ وجلَّ- هذا الخلق، فلا يجوز للإنسان أن يَخوضَ بغيرِ علمٍ، ولا أن يتكلَّم فيما لم يُحط به علمًا **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾** [الإسراء: 36]، فمَن آمن بذلك وأقرَّ بذلك علم غلطَ الغالِطين الذين قالوا: إنَّ العرش كنايةٌ عن الملكِ؛ فهذا غلطٌ وتحريفٌ للنُّصوصِ الشَّرعيَّة، ولا يجوز؛ لأنَّ هذا مِن مَسالك أهلِ الأهواءِ والبدعِ، ولا يجوزُ لطالبِ العلمِ ولا لكلِّ مسلمٍ أن يُتابع أهلَ البدعِ، بل عليه أن يُتابع الصَّحابة والسَّلفَ الصَّالح -رضي الله عنهم ورحمهم.

- بعضُ النَّاس يُحرِّف الكلِمَ عن مَواضعه، فيقول: إنَّ الله لم يستوِ على العرشِ، فينفي ما أثبتَه الله لنفسِهِ، أو يقول: إنَّ الاستواءَ هو الاستيلاءُ.

وهذا مِن تحريفاتِ أهلِ البدع أيضًا، فالاستواءُ على العرشِ عندَ علماءِ أهلِ السُّنَّة والجماعة هو: العلو، استوى على العرش، أي: علا.

- جاءت تفسير عُلماءِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ لكلمة **﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾** بأربعةِ معانٍ:
  - **المعنى الأوَّل:** علا على العرشِ.
  - **المعنى الثَّاني:** ارتفَعَ على العرشِ.
  - **المعنى الثَّالث:** صَعَدَ على العرشِ.
  - **المعنى الرَّابع:** استقرَّ على العرشِ.

◆ هذا العرشَ عرشٌ عظيمٌ، استوى الله علي -سُبحَانَه وتَعَالَى- بعد أن خلقَ السَّماواتِ والأرضَ في ستَّةِ أيَّام، ثمَّ استوى على العرشِ، وهذا استواءٌ يليق بجلالِه، ليسَ كاستواءِ المخلوقِ، فمَن شبَّه اللهَ بخلقِهِ فقد كفرَ، ومَن نفى ما وصَفَ الله به نفسَه، فقد كذَّبَ خَبَرَ الله، ومَن كذَّبَ

---

[١٩] رواه الطبراني في المعجم الكبير، قال: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ سورة البقرة آية 255 ، قَالَ :" مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ . قَالَ : وَلا يُقَدَّرُ قَدْرَ عَرْشِهِ" . قال ابن عثيمين:"صح ذلك عن ابن عباس موقوفاً ومثل هذا له حكم الرفع" (تفسير سورة الفاتحة والبقرة 254/3).

خبرَ الله فقد كفر، فالمؤمن يقول: سمعنا وآمنَّا وأطعنَا؛ فيؤمن بما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- ولا يتعدَّى القرآنَ والحديثَ وطريقةَ أصحَابِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم.

- الكرسيُّ معناه: موضع القدمين، كما نُقِلَ عن السَّلف. وأمَّا مَن فسَّره بالعلم، فعلم الله حقٌّ، لكن تفسير الكرسي بالعلمِ فيه نظرٌ؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255]، فتفسيره بالعلم هنا فيه نظرٌ؛ لأنَّ الكرسيَّ مِن مخلوقاتِ اللهِ العظيمة وهو دونَ العرشِ كما جاءَ في الأحاديثِ عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم.

- الله -جلَّ وعلا- فوقَ العرشِ، وهو غنيٌّ عن العرشِ وما دونه، قال: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)، هذا ليُبطل الظَّنَّ الفاسدَ، ولهذا قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة في الواسطيَّة: "فمَن ظنَّ أنَّ السماء تُقلُّه -أي تحمل الله- أو تُظلُّه، فهذا ضالٌّ" لم يقل بهذا مسلم، ولا يقول بهذا مسلم، ولم يدلّ القرآن والسُنَّة على هذا، فالله غنيٌّ عن العرشِ، وغنيٌّ عن السَّماء، وغنيٌّ عن الخلقِ أجمعين.

◆ السَّماوات كلُّها والأرض كلُّها في جانبِ الكرسيِّ شيءٌ يسيرٌ، والكرسيُّ في جانبِ العرشِ شيءٌ يسيرٌ، كلُّ هذه المخلوقات بما فيها -حتى العرش- هي شيءٌ يسيرٌ في عظمةِ الرَّبِّ -سُبحَانَه وتَعَالَى- فهذا يجعلُك تعظِّم الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وتقدُرُه، ولا تكن من الكفَّار الذين قال الله عنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

- **إذا كان الأمر بهذه المثابة؛ فهل يَليق بمؤمنٍ أن يَعصيَ اللهَ -عزَّ وجلَّ- وأن يُجاهرَ بالمعاصي؟ وأن يستكبرَ عن أوامرِ الله؟**

الجواب: لا، المؤمنُ يعرفُ ضعفَه، ويعرفُ فقرَه، ويعرفُ حاجتَه إلى الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وأنَّ الله فوقه يراه، ولا تخفى عليه خافية، فيخافُ مِن الله ويُعظِّمَه -سُبحَانَه وتَعَالَى.

- الملائكةُ يُعظِّمون الله -عزَّ وجلَّ- قال الله عنهم: ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]، فالملائكةُ تَفزع تعظيمًا لله، وخَوفًا لله، فأنتَ أولى بهذا أيُّها المؤمن، أن تخافَ مِن الله -عزَّ وجلَّ- وأن تَقدرَه حقَّ قدرِه، ولا تكن مِن الكافرين الذين قال الله عنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: 67].

- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، هذه السَّماوات على اتِّساعها ليست بشيءٍ أمامَ عظمةِ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- والأرض أصغر بالنِّسبة للسَّماءِ، وأنتَ كم تُمثِّل بالنَّسبة للأرضِ؟ لا شيء! فكيف تستكبرُ على الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وتعصيه؟!

- المخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا فضلًا عن غيرهم، وهذا يدعو المؤمنَ إلى توحيدِ اللهِ -سُبحَانَه وتَعَالَى- وإخلاصِ العبادةِ له، وألا يتعلَّقَ بالأمواتِ. فمِن أعجبِ العجبِ، ومِن أضلِّ الضَّالِ أنَّ رجلًا عاقلًا يأتي إلى الأمواتِ ويستغيث بهم، ويطلب منهم المدد، وهم أموات! وينسى خالق الأرض والسَّماوات!

  - الإنسان حتى ولو كان في مكانٍ بعيد وفي مكانٍ غربةٍ ولا أحد حوله؛ فإنَّ الله يسمَعه ويراه ويستجيبَ دعاءه، ومِن ذلكَ ما وَقعَ ليونس بن متَّى -ذي النُّون- ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 87، 88]؛ لأنَّ بعضَ دعاةِ الشِّرك وغلاةِ الصُّوفيَّة يقولون: هذا للأنبياء فقط، إذا دَعوا الله استجاب لهم، أمَّا المذنبون فلابدَّ لهم مِن واسطة، فيذهبون إلى أصحابِ القبورِ، والأولياءِ، والأوتادِ، والأقطابِ، حتى يكونون واسطة بينهم وبين الله في الدُّعاء!

  - الله بكلِّ شيءٍ محيط، وهذا يجعل العبدَ يتوكَّلُ على الله، ويثقُ في الله، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: 143]، الإيمانُ ولو قلَّ فإنَّ الله يعلمُه، ولا تخفَى عليه خافية -سُبحَانَه وتَعَالَى- وهذا يُقوّي علاقتَك معَ اللهِ -سُبحَانَه وتَعَالَى.

- **هل الله -عزَّ وجلَّ- حالٌّ في خلقه؟**

لا، اللهُ فوقَ عرشه، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]، لكن هو محيطٌ بخلقِه، يحيطُ بهم فيعلم أحوالَهم، ويسمعُ كلامَهم، ويرى مكانَهم، ويعلمُ ما تُخفيه صُدُورُهم ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7] -سُبحَانَه وتَعَالَى.

- إذا آمنتَ أنَّ الله بكلِّ شيءٍ محيط؛ أورثَك هذا تعظيمَ الله، والخوفَ منه، ورجاءَه، وحسنَ الظَّنِّ به، وعرفتَ ضعفَك، وعرفتَ حاجتَك إلى اللهِ -سُبحَانَه وتَعَالَى- فلا تستكبر على الله، ولا تعصِ الله، وإذا وقعتَ في معصيةٍ فبادر إلى التَّوبة، فهذا معنى قوله: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ).

- **مَن الذين يقولون: إنَّ الله حالٌّ في المخلوقات؟**

هؤلاء الحلوليَّة، وهم كفَّار عندَ علماءِ السَّلف، قالوا: مَن قالَ إنَّ الله حالٌّ في خلقه ومختلطٌ بخلقِه فهو كافرٌ"، لأنَّ هذا أعظم التَّنقُّص لله -عزَّ وجلَّ- وتكذيبٌ للنُّصوصِ الشَّرعيَّة، وتكذيبٌ لِما أخبرَ الله به وأخبرَ به رسوله -صلى الله عليه وسلم. هذه مسألةُ الإحاطة، فالله محيط بكلِّ شيء.

- مسألة العُلوِّ مَسألةٌ ظاهرةٌ جدًّا في الكتاب والسُّنَّة، ودلائلُ القرآن والسُّنَّة عليها كثيرة، كذلك دَلَّ عليها العقلُ، والفطرة السَّليمة تدلُّ على علوِّ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- على خلقِه. حتى أنَّ بعضَ العلماء قال:"إنَّ أدلَّة العلو أكثر مِن ألفِ دليل في القرآن"، واجتهد بعضُ أهلِ العلم في تقسيم أنواعِ الأدلَّة، فكلُّ نوعٍ يندرجُ تحتَه أنواعٌ وأفرادٌ من الدَّلائلِ، وذكرَها ابن أبي العز -رحمه الله- في شرح الطَّحاوية أكثر من عشرين نوعًا، وقد

أخذَها مِن كلامِ ابن القيم -رحمه الله- في"إعلام الموقعين"، ومن"الصَّواعق المرسلة"، و"القصيدة النُّونيَّة"؛ فقد أورد هذه الأدلة، ويمكنُ أن ترجع إليها على وجه التَّفصيلِ في شرحِ النونيَّة للهرَّاس، أو شرح النُّونيَّة لابن عيسى، وهي مفيدة جدًّا.

مِن أمثلة الأدلَّة:

التَّصريح باسمه"العليّ"، فمن أسماء الله -عزَّ وجلَّ- "العليّ"، ومِن أسمائه "الأعلى" ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1]، و"المتعال" -سُبحَانَه وتَعَالَى.

كذلك مِن أنواع الأدلَّة: صفة العلو، وهذا واردٌ في أحاديثِ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- بكثرة.

كذلك التَّصريح بصعودِ الأشياء إلى الله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10]، والصُّعود يكون مِن أسفل إلى أعلى.

وكذلك العروج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سُنَّة﴾ [المعارج: 4]، فهو فوق الخلق -سُبحَانَه وتَعَالَى.

كذلك نزول الأشياء من عنده، فذكر الله -عزَّ وجلَّ- نزولَ القرآن مِن عنده في مواضعَ كثيرةٍ، كقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: 2].

وهذا يفيد مسألتين:

- الأولى: إثباتُ صفة الكلام، وأنَّ اللهَ هو الذي تكلَّم به وابتدَأه.
- الثَّانية: تفيد أنَّ النُّزول يدلُّ على أنَّ الله في العلوِّ -سُبحَانَه وتَعَالَى.

**الذين نفوا العلو وأنكروه نوعان:**

- **النوع الأول:** زعموا أنَّ الله في كلِّ مكانٍ، وهؤلاء يُقال لهم الحلوليَّة، وبعضهم أشدُّ ويسمُّون الاتِّحاديَّة، وبعضهم أشدُّ وهم أهلُ وحدةِ الوجود، ولكن قد يُتجوَّز فيُطلَق هؤلاء على هؤلاء، فالحلوليَّة والاتحاديَّة وأهلُ وحدة الوجود يقولون: إنَّ الخالق والمخلوق شيء واحد، أو إنَّ الخالق حلَّ في المخلوقات. وهؤلاء كفَّار -كما سبق- لأنَّهم وصفوا الله -عزَّ وجلَّ- بالنَّقصِ، وكذَّبوا النُّصوصَ الشَّرعيَّة الدَّالة على مُباينة الله لخلقه، وخالفوا طريقة النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- والصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان.
- **النَّوع الثَّاني:** يقولون: إنَّ الله ليسَ في مكانٍ، لا فوقَ العالم، ولا تحتَه، ولا يمينَه، ولا شماله، ولا أمامَه، ولا خلفَه، ولا مباينٌ، ولا مُحايِثٌ، ولا خارجٌ، ولا داخلٌ؛ وهؤلاء يُقال لهم: "المعطلة النُّفاة".

أهلُ التَّعطيل عندهم طريقة النَّفي، والحلوليَّة عندهم الغلو في القول بأنَّ الله في كلِّ مكانٍ؛ وكلاهما عطَّل الله -عزَّ وجلَّ- عن كَمَالِه الذي وَصف به نفسه -نسألُ الله العافية والسَّلامة.

- الله -عزَّوجلَّ- لا يجوز أن نقول في حقِّه إنَّه حالٌّ في الأمكنَةِ؛ بل نقول: هو العليُّ العظيم ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18]، وقال عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: 50]، والنُّصوص في هذا كثيرة جدًّا -كما تقدَّم.

- **أمَّا النُّصوص الواردة في إثبات معيَّة الله لعباده، فهي على نوعين:**
  - معيَّة عامَّة.
  - معيَّة خاصَّة.

- **المعيَّة العامَّة:** كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، فمعيَّة الله لعباده ولخلقِه بعلمه وسمعِه وبصرِه وإحاطتِه وقدرتِه، وتدبيرِه، فالله محيطٌ بهم، وليس معنى معيَّة الله لعباده أنَّه حالٌّ فيهم، فالعربُ لا تقول هذا، ومَن ادَّعى هذا على لسان العرب فقد غلِطَ، وخالفَ طريقة الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- والصَّحابة، فإنَّ قول: ﴿مَعَكُمْ﴾ لا يلزم منه الاختلاط والحلول، ومنه قول العرب: لا زلنا نسير والقمر معنا.

- **المعية الخاصَّة:** وتكون لعباده المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، فمعيَّة الله الخاصة هنا معناها: النُّصرة ولاتَّأييد، والحفظ، والرِّعاية، والحماية، وغير ذلك، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

- الخلق أذل وأحقر مِن أنَّهم يُحيطون بالله -عزَّوجلَّ- وأقلُّ من ذلك الرُّوح التي بين جنبك الآن، أنت لا تدرك حقيقتها، ولا تعرف هيئتها، فكيف يتطلَّب عقلك أن يحيط بالله؟! هذا محال.

- لا يجوزُ أن يَظنَّ ظانٌّ أنَّه يحيطُ بالله، ويعلمُ ما لم يعلمه الله؛ كلُّ هذا مِن الشيء الذي يعجز عنه العباد، حتى الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- قالَ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم:« **لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[20]، هذا وهو أعلم الخلق بالله، حتى أنَّه يوم القيامة يقول: «**ثُمَّ يفتحُ اللهُ علَيَّ ويُلْهِمُني مِن مَحامِدِهِ وحُسْنِ الثناءِ عليهِ شيْئًا لم يَفْتَحْهُ علَى أحدٍ مِنْ قَبْلِي**»[21]، يعني يُعلِّمه الله -عزَّوجلَّ- أشياءَ يحمده بها، ويكونُ هذا التَّعليمُ يومَ القِيامَة.

- **هذا الدَّرس اشتمل على:**
  - بيانِ وجوبِ الإيمانِ بالعرشِ، ومَا وصفَه الله به في القرآنِ وفي السُّنَّةِ بما وصفَه النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم.
  - الإيمانِ بالكرسيِّ، وأنَّ هذا حقٌّ، لا نُحرِّف، ولا نُؤَوِّل كطريقة المبتدعة.

---

[20] صحيح مسلم (486).
[21] صححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية (229)، ولفظ البخاري "فأحمدُ ربي بمحامدَ علَّمنيها ، ثم أشفعُ".

- بيانِ جملةِ (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ) ، أنَّ الله -عزَّوجلَّ- لمَّا استوى على العرشِ لا يعني هذا أنَّه محتاجٌ إلى العرشِ، فاللهُ غني عن العرشِ؛ بل العرشُ هو المحتاجُ إلى اللهِ، وجميعُ الخلقِ محتاجون إلى الله.
- بيانِ أنَّ اللهَ محيط بكلِّ شيءٍ.
- بيانِ أنَّ الله فوقَ كلِّ شيءٍ، وإثباتِ صفةِ العلو لله –الفوقيَّة- وعلُّوهِ تعالى على عرشه، ويمكنُ أن يَرجعَ طالبَ العلمِ للكتبِ التي توسَّعت مثلَ شرحِ الطَّحاوية لابن أبي العز، وكذلك إثبات صفة العلو لابن قدامة -رحمه الله- وكتاب"العلو للعلي الغفار" للذَّهبي، وشرح حديث النُّزول لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وهناك رسائل أخرى لأئمَّة السُنَّة يرجعُ إليها طالبُ العلمِ حتى يستفيدَ ويعرفَ الحقَّ، ويبتعدَ عن مسالِك أهلِ البدعِ والباطلِ.
- بيانِ جملةِ (وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ) ، والمقصودُ أنَّ الله محيطٌ بكلِّ شيءٍ ولا أحدَ يحيط بالله.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس الرابع

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- جاء في القرآن أوصافٌ كثيرةٌ لربِّنا -سُبحَانَه وتَعالَى- وهكذا في السُّنَّة، فَمِنْ تِلكُم الأشياء الثَّابتة: أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- اتَّخذَ إبراهيمَ خليلًا، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:125]. وكذلك في سنَّةِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- مِن حديثِ أبي سعيد الخدري عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ »[٢٢]، «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»[٢٣]، فجاء في القرآن وصفُ الله -عزَّوجلَّ- بأنَّه اتَّخذَ إبراهيمَ خليلًا، وجاء في السُّنَّة ذلك. وأيضًا أنَّ النَّبيَّ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- شاركَ إبراهيمَ في هذه الصِّفة العظيمة، فإنَّ الله اتَّخذَ محمدًا خليلًا، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمد وعلى إبراهيم وعلى جميع الأنبياءِ والمرسلينَ.

---

[٢٢] صحيح البخاري (449).
[٢٣] صحيح مسلم (832).

- إثباتُ صِفةِ المحبَّة؛ بل والخُلَّة، وهي أعلَى درجاتِ المحبَّة، ولأنَّ المحبَّة درجات، وذكر العلماءُ أنَّها عشر درجاتٍ، والمحبَّة أصلُهَا في القلب وآثارُها على الجوارح، وتختلف وتتفاوت، فأعلاها الخُلَّة، وفوق الخُلَّةِ التَّعبُّدُ، فالخُلَّة هي أعلى درجات المحبَّة، ولا نحتاج إلى أن نذكرَ الدَّرجات كلَّها، وليس هذا من الضَّروري، ولكن نُعبِّر بالتَّعبيرات الشَّرعيَّة فيما يضاف إلى الله -عزَّوجلَّ- لأنَّ من الدَّرجات العشق والصَّبابة، وهذا لا يُوصَف الله به، ومثل الغرام، وهذا أيضًا لا يجوز أن يوصَف الله به.

- أعلى درجات المحبَّة التَّتيُّم وهو التَّعبُّد، والذي وردَ في السُّنَّةِ وفي الكتابِ فيما وصفَ الله به نفسه أنَّه يُحبُّ بعضَ عباده، فالله يحبُّ المؤمنينَ، ويحبُّ الصَّالحين، ويحبُّ المتَّقين، ويحبُّ المحسنينَ، ويُحبُّ التَّوابين، ويُحبُّ المتطهرين، ونحو ذلك من النُّصوصِ نؤمن بها، ومن ذلك أنَّه يُحبُّ أنبياءَه ورسلَه وهم أعلى البشر، وقد اصطفاهم الله -عزَّوجلَّ- فهم خلاصة البشرِ وأفضل البشرِ، وهؤلاء الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- أعلاهم وأكملهم أولو العزم.

  - أولو العزم مِن الرُّسُل خَمسَة: محمد -صلى الله عليه وسلم- وإبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- ونوح، وموسى، وعيسى -عليهم الصَّلاة والسَّلام.
    أعلاهم مَنزلة فِيما يَظهر مِن النُّصوص الشَّرعيَّة هو: محمد -صلى الله عليه وسلم- ثم إبراهيم الخليل.

  - الجهميَّة من الفِرَقِ الضَّالة المُنحرفة انحرافًا شديدًا عن الإسلام، حتى حَكَمَ جمعٌ من كِبَار عُلماء السَّلف بأنَّ الجهميَّة ليسوا مِن أمَّة محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- وأصلهم يُنَسبُ إلى الجهمِ بن صفوان الذي نَشَرَ المَذهَب، وإلا فالأساس هو شيخه الجعدُ بن درهم، والجعد بن درهم اشتهرت عنه مقالةٌ خبيثة وهي نفي جميعِ الصِّفات والأسماء، حتى قال: "إنَّ اللهَ لم يتَّخِذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلِّم موسى تكليمًا".

- قوله: **(وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)** هنا أثبتَ صفةَ الكلامِ للهِ -عزَّوجلَّ- وهذا ثابتٌ في آياتٍ كثيرةٍ، قالَ الله تعالى: **﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء: 164]، **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾** [الأعراف: 143]، فإثباتُ صِفةِ التَّكليم، وأنَّ الله يُكلِّم بعضَ عبادَه حقٌّ، حتى نبيَّنا -صلى الله عليه وسلم- شاركَ موسى -عليه الصَّلاة والسَّلام- في هذا، ولهذا لما عُرِجَ بنبيِّنا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى ما فوقَ السَّماءِ السَّابعة في ليلةِ الإسراءِ والمعراجِ؛ كلَّمه اللهُ -عزَّوجلَّ، وفرضَ عليه الصَّلوات الخمس مِن غيرِ واسطةٍ، خلافًا لبقيَّة الفرائض فإنَّها نزلت عَن طريقِ جبريلَ -عليه الصَّلاة والسَّلام.

- فهذا أيضًا أنكره الجهميَّة، وقالوا: إنَّ الله لا يتكلَّم، ولا يُكلِّم بعضَ عبادَه، وأنكرُوا أنَّ القرآن كلام الله، وقالوا: هذا ليسَ كلامُ الله -نسأل الله العافية والسَّلامة.

- ينبغي التَّنبُّه إلى أنَّ المتأخرين ممَّن وقعَ في مذهبِ الأشاعرةِ والماتريدية وغيرهم؛ كثير منهم كان غَلَطُهُ في هذه المسائل بسببَ التَّأويلُ الفاسد، بخلاف المتقدِّمين فكان عندهم جُرأة على مصادمة النَّصّ - نسألُ الله العافية والسَّلامة- وعلى ردِّ النُّصوص، ولذلك تُنقَل أقوال بشعة عن طغاتهم وزنادقتهم وأئمَّتِهم -أئمة الجهميَّة.

- هؤلاء الأشاعرة والماتريدية فلا شكَّ أنَّهم مُبتدعة ومخالفون لسنَّة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ولطريقةِ الصَّحابَة وأئمَّة السُّنَّة، ولكن ليسوا مثل أولئك في حكمِ التَّكفيرِ وحكم الزندقةِ؛ لأنَّ كثيرًا منهم غلِطَ غلطًا بيِّنًا ووقع في التَّأويلِ الفاسدِ، هذا هو الفرقُ بينَ الفريقين.

- المنكِرُ الجاحدُ غير المخطئ، غير المفرِّط، المفرِّط والمقصِّر آثمان، ولكن لا يبلغ مرتبةَ الكفرِ إلا إذا كان متعمِّدًا لمعاندةِ الله، وتكذيبِ خبرِ الله، وخبرِ رسولِه -صلى الله عليه وسلم- ولهذا لم يُطلَق القولُ بتكفيرِهم عندَ جماهيرِ أهلِ السُّنَّة والجماعة.

- دلَّ على الأركانِ السِّتَّةِ القرآنُ والسُّنَّةُ، قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

- إذا كفرَ بالله، أو بملائكتِه، أو كفرَ بالكتبِ، أو كفرَ بالرُّسلِ، أو كفرَ باليومِ الآخرِ؛ فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا، ولهذا لا يصحُّ الإسلامُ ولا يَثبتُ الإيمانُ إلا بالإيمانِ بهذه الأركانِ السِّتَّةِ؛ فلابدَّ على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ أن يُؤمنَ بهذه الأركان السِّتَّة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشرِّه، وهذا ما اتَّفق عليه جميعُ الأنبياءِ والرُّسلِ، واتفقت عليه جميعُ الرِّسالاتِ السَّماويَّة مِن لَدن آدم -عليه الصَّلاة والسَّلام- إلى محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والرسل؛ فكلهم اتَّفقُوا على هذه الأصولِ السِّتَّة، وآمَنوا بها، ودَعوا إلى الإيمان بها، ولم يُكذِّب بهذه الأمور إلا أعداءُ الله، وأعداءُ رُسلِه من الكفارِ بجميعِ أنواعهم، المشركون، والملاحدة، والفلاسفة المكذِّبون للرُّسلِ، وأهلُ البدع كذَّبوا ببعضِ أجزاءِ هذه الأركان السِّتَّة، وعلى اختلافهم فمستقلٌّ ومستكثِرٌ.

- أركانَ الإيمانِ هذه يجبُ الإيمان بها، والإيمانُ هو التَّصديقُ والتَّسليمُ والإقرارُ والالتزامُ ما تضمنت عليه.

- الإيمان بالله يتضمَّن الإيمان بتوحيد ألوهيَّته، فنعبده وحده لا شريك له، والإيمان بربوبيَّته، وبأسمائِه وصفاتِه.

- الإيمانُ بالملائكة يتضمَّن الإيمانُ بأسمائِهم وصفاتهم، وأعمالهم، ومَن سمَّى الله -عزَّ وجلَّ- ومَن لم يُسمِّ، وكل ما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عن الملائكة، أو أخبر رسوله -صلى الله عليه وسلم.

◆ الإيمانُ بالرَّسلِ أن نؤمنَ بجميعِ الأنبياءِ والمرسلينَ، وأنَّهم على الحقّ المبينِ، وأنَّهم أفضل خلقِ الله، وأنَّهم جاؤوا بالهُدَى والنُّورِ، وأنَّهم يدعون أقوامهم إلى الفلاحِ والسَّعادة في الدُّنيا والآخرةِ، وأنَّ مَن آمنَ بهم واتَّبعهم في زمَنِهم فهو المؤمن، ومَن كفرَ بهم في زمنِهم فهو الكافرُ، حتى خُتموا بمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم.

◆ الإيمانُ بالكتب يتضمَّن الإيمان بجميعِ مَا أنزلَ الله -عزَّ وجلَّ- مِن الوحيِ على ألْسِنَة رسلِه -عليهم الصَّلاة والسَّلام- فهناك كُتبٌ سمَّاها الله -عزَّ وجلَّ- مثل: التَّوارة، والإنجيل، والزَّبور.

➢ التَّوارة أُنزلت على موسى -عليه السَّلام- والإنجيل أُنزل على عيسى -عليه السَّلام- والزَّبورُ أُنزل على داود، وهناك صُحفِ إبراهيم، وأعظمُ الكتبِ المنزَّلة القرآن العظيم، وبه خُتمت الكتب، وهو المهيمن، فلا يجوز النَّظر في الكتبِ السَّابقة، ولا الاطلاع عليها والقراءة فيها، وطلبِ الهدى منها؛ فهذا لا يجوز؛ لأنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- رأى في يدِ عمر صحيفة مِن التوراة فقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» أي: مُتحيِّرُون! مُتَشَكِّكُون؟! «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[٢٤]، وفي رواية: «لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ»[٢٥].

➢ إذا نَزلَ عِيسَى بن مريم في آخر الزَّمان -كما صحَّت بذلك الأحاديث- فإنَّه يحكم بشريعةِ النَّبيِّ محمد -صلى الله عليه وسلم- ولا يحكمُ بالإنجيلِ الذي أُنزلَ عليه؛ بل ويصلِّي خلفَ إمامِ المسلمين تكرمةً لهذه الأمَّة ولنبيِّها -صلى الله عليه وسلم- فيكون مُؤمنًا بالنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ الله قد أخذَ الميثاقَ على جميعِ الأنبياءِ والرُّسلِ لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمننَّ به وليتبعنَّه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

◆ كلَّ نبيٍّ أُخذَ عليه الميثاق أن يتبعَ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- لو قُدِّرَ أن يُبعث وهو حي.

➢ قد قالَ الله في أكثرِ من موضعٍ عن الإيمان بالرسل: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [آل عمران: 179]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء150، 151]، وقال الله -عزَّ وجلَّ- في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 105]، مع أنَّهم ما كذبوا إلا نوحًا -عليه الصَّلاة والسَّلام- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 123]، وهكذا بقيَّة الأمم، فمن كذَّب رسولًا واحدًا فقد كذَّب جميعَ الرُّسلِ، ولهذا اليهود كفار لأنَّهم كذبوا بعيسى، وكذبوا بمحمدٍ -عليهم الصَّلاة والسَّلام- والنَّصارى كفَّار لأنَّهم كذَّبوا بمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم- حتى لو آمنوا بموسى وعيسى، فتكذيبهم بمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم-

---

[٢٤] مسند أحمد (14895).
[٢٥] مسند أحمد (15550).

كفرٌ، وهو تفريقٌ بينَ اللهِ ورسلِه، وهذا يبيّن لنا أنَّ كلَّ من وُجد بعد مبعث النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- فإنَّه لا يجوز له أن يدين بغير دينِ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]، فكل من بلغته دعوةُ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- فيجب عليه الدُّخولَ في دين الإسلام، ولا يصحُّ منه ولا يقبلُ منه عندَ الله أن يبقى على دينِه السَّابق، لأنَّ الأديان السَّابقة حُرِّفت وبُدِّلَت ونُسخَت بمبعث النَّبيّ محمد -صلى الله عليه وسلم.

- هذه الأركان السِّتَّة يجبُ الإيمانُ بها عن يقينٍ وتصديقٍ، الإيمانُ بها إجمالًا، وتفصيلًا لمَن علَّمه الله وفقَّهَهُ في الدِّين.
  - **الإجمال:** يكفي عمومَ أهلِ الإيمان -عوامهم- ومَن كان منه مشغول؛ فيؤمنون بها إجمالًا.
  - **تفصيلًا:** مَن علمه الله -عزَّ وجلَّ- وتعلم وتفقَّه.

- الفرقَ بين طريقةِ أهلِ الإيمان والإسلام، وبين طريقةِ الكفَّار، فالكفَّارُ يُكذِّبون باللهِ، ويَكفرون باللهِ، ويَكفرون بالملائكةِ، ويَكفرون بالرُّسلِ، ويَكفرون بالكُتبِ المنزَّلةِ، ويُكفرون باليومِ الآخرِ، ويَكفرون بالقدرِ. ولهذا كانت طريقةُ أهلِ الإيمان تختلف عن طريقةِ أهلِ الكفرِ والجحود.

- موضوعَ الإيمان هو مِنَّةٌ من الله -سُبحَانَه وتَعالَى- لا تظنَّ أنه بجهدك وكدِّكَ وعقلِك، فكم من عاقلٍ وعبقري لا زالَ كافرًا مُرتكسًا في كُفره، وأنت قد مَنَّ الله عليك بالإسلام، ولهذا فإنَّ أهلَ الجنَّة إذا دخلوا الجنة -جعلنا الله وإيَّاكم وجميع إخواننا منهم- قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: 43]، والصَّحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يقولون: "وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقْتَ، وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا"[٢٦]. هذه كانوا يرتجزونها وهم يحفرون الخندق مع النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب.

- أصلَ الإيمانِ ليس هو العقل والتَّفكير، العقل وسيلة، لكن أصلَ الإيمانِ مِنَّة من الله على العبدِ، ولهذا نسأله في الصَّلاة ونقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].

- قد حَرصَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- على إيمانِ أبي طالب؛ فلم يُسلم مع أنه يعلم أنَّ هذا هو الدِّين الحق، قال الله -عزَّ وجلَّ- فيه وفي أمثاله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: 56]، فهذه منَّة من الله، وعلى المؤمن أن يسأل الله الهداية.

---

[٢٦] صحيح مسلم (3370).

الكافر فيُدعى إلى الإسلام، وتُبيَّن له الدَّلائل، وتُبيَّن له الحُجَج، وتُبيَّن له المحاسن؛ لعلَّ الله أن يهديه «لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[٢٧] ، لكن ننتبه اليوم أنَّ أغلبَ أهلِ الأرضِ مِن الكفارِ على شتَّى أصنافِهم هم أعداءٌ ومكذِّبون بهذه الأركان، فبعضُ النَّاس يظنُّ أنَّ هؤلاء غافلون عنها، لا، هم في أصلِ عَقيدتهم مُكذِّبون بها أو ببعضها، أو بأغلبها، حتى ما أقرُّوا به من بعضِ الجوانبِ عندهم فيه مِن التَّحريف ومن التَّبديلِ ما الله به عليم، هذا فيمن زعم أنَّه باقٍ على بقايا اليهوديَّة أو بقايا النَّصرانيَّة؛ لكنَّهم حرَّفوا وبدَّلوا، فهم يصفون الله بالنَّقائص، ويصفون الله -عزَّ وجلَّ- بما يتنزَّه عنه -سُبحَانَه وتَعالَى- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات 180، 181]، عرفت الفرق؟

مِن مهمّتِكَ أيُّها المسلم وطلاب العلم: نشرِ الإيمان، ونشرِ العلم، ونشرِ الوحي، وتثبيتِ الإيمانِ في قلوبِ المسلمينَ ببيانِ براهينه، وأدلَّتِه مِن كتابِ اللهِ ومِن سُنَّة رسولِه -صلى الله عليه وسلم- ومِن كلامِ أهلِ العلمِ، وبيانِ الحُجَجِ الشَّرعيَّة، وبيانِ الحُججِ العقليَّة أيضًا؛ حتى تَردَّ على هؤلاءِ الملاحدة المكذِّبُون للرُّسل.

وكذلك أهلُ البدع -أشرنا إليهم قبل قليل- وقلنا: إنَّ عندهم نوعُ تكذيبٍ، وعندهم انحراف، فمثلًا الجهميَّة، تقدَّم أنَّهم ينكرون أسماءَ الله وصفاتِه، فهم لم يؤمنوا بالله كما أنزلَ وكما شرعَ، ولهذا قال بعضُ السَّلف عن الجهميَّة: "إنهم يدورون أنَّه ليسَ فوقَ السَّماءِ إلهٌ يُعبَد"[٢٨] ، أي: يدورون على التَّعطيل.

وكذلك الحلوليَّة الذين يقولون: إنَّ الله في كلِّ مكانٍ، فمذهبهم هو التَّعطيل وإنكار الخالق، وإن لم يصرحوا به. فهذه البدع الخبيثة فيها إنكار لهذه الأصول -أركان الإيمان السِّتَّة.

وكذلك القدريَّة الغلاة الذين يُنكرون عِلمَ الله، فيقولون: إنَّ الله لا يعلم؛ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

عقيدةَ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ -كما تَرَون الآن- مَرجعها هذه الأركان السِّتَّة: الإيمان باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والإيمانِ بالقدرِ خيرِه وشرِّه.

المعتزلة: عندهم أصولٌ خمسة، ولسنا بحاجة لتعدادها، ولكن كلَّ أصلٍ مِن أصولِ المعتزلة الخمسة فيه ردٌّ للنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ، وفيه تحريفٌ لكتابِ الله وسنَّة رسولِه -صلى الله عليه وسلم- وفيه ضلالَة من ضلالاتِ المعتزلة، ويمكنكم الرجوع إلى شرحِ الطَّحاوية حتى تعرفونها.

لمقصود: أنَّنا نثبت على أصولِ أهل السُّنَّة والجماعةِ، ونؤمنُ باللهِ، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والقدرِ خيرِه وشرِّه.

---

[٢٧] صحيح البخاري (2738).

[٢٨] ذكره ابن تيمية عن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور أنه قال : "ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم يدورون على أن يقولوا : ليس في السماء شيء" (مجموع الفتاوى ج 5 ص 53).

◆ من التَّحاكم بالقرآنِ والعملِ به: العملُ بسنَّة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والتَّحاكم إليها،
قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

➢ الإيمان بالملائكة: إيمانٌ بأسمائهم، حيث سمَّى الله -عزَّ وجلَّ- جبريلَ وميكائيلَ، وجاء في السُّنَّة تسمية الملائكة مثل: إسرافيل، وجاء في السُّنَّة بيان أنَّ رضوان خازن الجنَّة [29]، وجاء في القرآن أن ( مَالِكَ ) هو خازن النَّار ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: 77]، ومنهم الملائكة الموكَّلون بالرَّحم، ومنهم الملائكة الموكَّلون بحفظِ العباد، ومنهم حملةَ العرشِ وهم الكروبيون، ومنهم الملائكة الذين يجتمعون في صلاةِ الفجرِ وفي صلاة العصر، ومنهم ملائكةِ سيَّارون يبحثونَ عن حِلَقِ الذِّكرِ والعلمِ، وغيرِ ذلك مِن الملائكة المذكورة في الكتابِ وفي السُّنَّة.

➢ الملائكةُ: جمع مَلَك، والملك هو الرَّسول، فالملائكة لفظهم يشعر بأنَّهم معهم رسالة، ولهذا كانَ جبريل يأتي بالوحي مِن عند الله -عزَّ وجلَّ- إلى النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء 193- 195]، وهم أفضل المخلوقات ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]، لا يعصون الله طرفة عين.

◆ أفضل الملائكة ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ، دلَّ على هذا الحديثُ الذي أَخْبَرَت بِهِ عائشة -رضي الله عنها- عَن صَلاة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في الليل، أنَّه كانَ يَستفتح بهذا الدُّعاء، فكانَ إذا قَامَ يصلِّي في الليل يقول بعد التكبير: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [30].

➢ يجب الإيمان بالملائكة، وهم خُلِقوا من نورٍ كما قال النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم، ولا نخوض فيما لم يخبرنا الله به، ولا نقول إنَّهم قوى روحانية، وأنَّها لا حقيقة لها، أو أنَّهم قوى الخير؛ كلُّ هذه التَّعبيرات والتَّأويلات التي لم ينزل الله بها من سلطان -وقالها بعض المتأوِّلين- غيرُ مقبولة. فنؤمن بما جاء في الكتابِ وفي السُّنَّة مِن أسمائِهم وصفاتِهم، ومِن أعمالِهم.

---

[29] " فينادي رب العزة رضوان وهو خازن الجنة" رواه العقيلي في الضعفاء الكبير، وابن حبان في المجروحين.
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن الملائكة : "وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْجِنَانِ، وَإِعْدَادِ الْكَرَامَةِ لِأَهْلِهَا، وَتَهْيِئَةِ الضِّيَافَةِ لِسَاكِنِيهَا، مِنْ مَلَابِسَ وَمَصَاغٍ وَمَسَاكِنَ وَمَآكِلَ وَمَشَارِبَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. وَخَازِنُ الْجَنَّةِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ (رِضْوَانُ)، جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ " انتهى من "البداية والنهاية" (53/1).
وقال الشيخ ابن عثيمين : " وأما "رضوان" فموكل بالجنة، واسمه هذا ليس ثابتا ثبوتا واضحا كثبوت مالك [يعني: خازن النار] لكنه مشهور عند أهل العلم بهذا الاسم " انتهى من "مجموع فتاوى العثيمين" (119/3).
[30] صحيح مسلم (770).

- قد تكلَّم العلماءُ في المفاضلة بينهم وبين المؤمنين، أيّهم أفضل؛ والمسألة سهلةٌ ولا ينبغي أن يصيَر فيها نزاعٌ بينَ أهلِ العلم، وبالنَّظر في الآيات والنُّصوص نجد أنَّ صالحي البشر مِن الأنبياء والرُّسلِ قد يَفضلُونَ جميعَ الملائكة، فالنُّصوص الشَّرعيَّة دلَّت على هذا، لكن بقيَّة المؤمنين، هل هناك مَن يفضلهم جميعًا؟

- تقدَّم الإيمان بالرَّسل: فالرُّسل أفضل خلقِ الله، ونؤمِن بهم إجمالًا وتفصيلًا.

فالإجمالُ: أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- أرسل الرُّسلَ لهداية البشر، والرُّسل والأنبياء هم خيرة البشرِ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75]، فالله يصطفي من النَّاس بشرًا يوحي إليهم، هؤلاء البشر الذين اصطفاهم الله -عزَّ وجلَّ- هم الأنبياء والرُّسل، وأوَّلهم آدم وهو نبي مُكلَّم، وآخرهم محمد -صلى الله عليه وسلم- وأوَّلُ الرُّسلِ إلى أهلِ الأرض بعدَ حصولِ الشِّركِ هو نوحٌ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: 163]، فهذا يدلُّ على أنَّ نوحًا هو أوَّلُ الرُّسل إلى أهلِ الأرضِ.

- الرُّسلُ منهم مَن أخبر الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائهم، ومنهم من لم يخبر بأسمائهم ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78]، فنحن نُؤمن بأنَّهم بلَّغوا البلاغَ المبينَ، وأنَّهم قاموا بأمرِ الله كما ينبغي، وأنَّهم لم يُقصِّروا، وأنَّهم بيَّنوا بيانًا لا يسع أحدٌ جهله، وأنَّهم أفضلُ البشرِ، لا أحدَ أفضلَ منهم، ولا نقولُ كما يقول الصُّوفيَّة الضَّالُّون أنَّ الوليَّ -أو القطب- أفضل من النَّبيّ!

- نؤمن بأنَّ أفضل هؤلاء الرُّسل أولي العزم، فأولو العزم هم: محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو أفضلهم، ثم إبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]، وفي سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: 7]، فذكرهم اللهُ في موضعين مِن القرآن. وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]، فهؤلاء الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- نؤمنُ بهم إيمانًا مجملًا، ونؤمنُ بأنَّهم أفضل البشر، ولكن نؤمن إيمانًا تفصيليًّا بنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- بتصديقِه، واتِّباعه، والإيمان به، ومحبته، والدِّفاع عن دِينِه، والدُّخول في دِينه، والثَّبات عليه، ونشرِ سنَّته، والشهادة بأنَّه محمد رسول الله، هو عبدُ اللهِ ورسولِه، فالشَّهادة له بالرِّسالة تتضمَّن طاعته فما أمرَ، وتصديقه فيما أخبرَ، واجتناب ما نهى عنه وزجرَ، وألا يُعبد الله إلا بما شرعَ -صلى الله عليه وسلم.

- فهذا هو الإيمان بالنَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- **وله حقوقٌ على أمّته وهي:**
  - الإيمانُ به، وتصديقُ أخباره، والعملُ بما جاء به، وامتثالُ أمره، والانتهاء عن نهيه، ومحبته أعظم مِن محبة النَّفس، والأهلِ، والوالدين، والنَّاس أجمعين.
  - مِن حقوق النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم: الصَّلاة والسَّلام عليه إذا ذكر اسمه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

❖ مِن حقوقه على أمته -صلى الله عليه وسلم: أن ننشرَ سنَّته، ونُدافع عنها، وننصرَ دينه، ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]، نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم منهم.

❖ كذلك التَّحاكم إلى سنَّتِه وإلى شرعِه والعمل به، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65].

❖ تعليم أولاد المسلمين محبَّة النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- ومحبَّةَ سيرته، وبيانِ أخباره وأخلاقِه، وهديه، وسمتِه -صلى الله عليه وسلم- اللهمَّ اجعلنا ممَّن اتَّبعه حقًّا ظاهرًا وباطنًا.

❖ كذلكَ مِن حقِّه علينا ألا نبتدعَ في الدِّين، وألا نتَّبعَ البدع، لأنَّه حذَّرنا منها، قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[٣١].

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس الخامس

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

➢ المرادُ بأهلِ القبلةِ، كلُّ مَن أظهرَ الإسلام والشَّهادتين واستقامَ عليهما، والتزمَ بالإسلامِ ودخلَ فيه؛ فهذا مسلمٌ.

➢ كلُّ مَن أظهرَ الإسلامَ نحكمُ عليه بالإسلامِ بما ظهرَ، وهل الأصلُ في المسلمِ السَّلامة، أم نقول الأصل في المسلم العدالة؟ ما رأيكم؟

نقول: السَّلامة، لأنَّ العدالةَ تحتاجُ لمرتبةٍ أعلى، فتحتاجُ إلى توثيقٍ، وتزكيَّةٍ، وما يدلُّ على ثُبوتها، أمَّا السَّلامةُ فهي الأصلُ، فما دام أنَّه أظهَرَ الإسلامَ فنحكمُ بما أظهرَ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: 94]، إذن نُسمِّي أهلَ القبلة بالمسلمين، فنقول: هؤلاء مسلمون ومؤمنون.

◆ مَن كذَّبَ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- أو كذَّبَ القرآنَ أو لم يُصدِّق بما قالَه النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أو شكَّكَ فيه أو نحو ذلك؛ فهذا علامةُ كفرِه، فهو كافرٌ حينئذٍ وليسَ بمسلمٍ.

---

[٣١] صححه الألباني في أحاديث الآحاد (6).

- الأصلُ في أهلِ الإسلام السَّلامَة حتى يثبُتَ ما يُخالفُ هذا الأصل، فإذا أظهروا تكذيبَ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- مثلَ مَن يُصدِّقُ مسيلمةَ الكذَّاب ويتَّبعُه، فمسيلمة ادَّعى النُّبوَّة، فهؤلاء ربَّما بعضهم يستقبلُ القبلةَ أوَّلَ الأمرِ، لكن هل هم مُصدِقين بالنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أم مُكذِّبين؟

- المسلم يُحكَم بإسلامِه بما أظهرَ حتى يَثبُتَ ما يُخرجه عن الإسلام، ولا يُمكِن أن يخرجَ مِن الإسلامِ إلا بيقينٍ، أمَّا الذُّنوب فلا تخرجه مِن الإسلام، خِلافًا للخوارج والمعتزلة، فالخوارجُ والمعتزلةُ يقولون: إذا ارتكبَ المسلمُ الذُّنوبَ خَرَجَ من الإسلامِ، وهذا مذهبٌ خاطئٌ وضالٌّ.

◈ مذهبُ المرجئة، يقولون: مهما ارتكبَ مِن الذُّنوبِ والمعاصي فهو مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ.

- الخوضُ في الله يَدخلُ فيه البحثُ في كيفيَّةِ صفاتِه، كيفَ صِفةُ اللهِ، كيفَ ذاتُ اللهِ؛فهذا أمرٌ محرَّمٌ وباطلٌ، ولا يُمكن أن يدركَه العقلُ البشريُّ مهما بلغَ ومهما أوتي، لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه: 110].

- مِن الخوض المذموم: الكلام في المشتبهاتِ، والكلام في الكيفيَّاتِ ، كيفَ استوى على العرشِ، كيفَ ينزلُ، كيفَ يجيءُ، وبعضُهم يذكرُ هذه الأشياء ليردَّ النُّصوصَ الشَّرعيَّة ويُحرِّفها -نسألُ الله العافيةَ والسَّلامةَ.

- الخوضُ في اللهِ -عزَّ وجلَّ- يشملُ الخوضَ في ذاتِه، والخوضَ في كيفيَّاتِ صفاتِه، ويشملُ أيضًا الخوضَ في شَرعِهِ بالتَّشكيكِ في الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، والخوضَ في الدِّينِ الإسلاميِّ، والخوضَ في آياتِ الله؛ كلُّ هذا مِن الأمورِ الباطلَة المحرَّمَة في الشَّريعَة، وأهلُالسُّنَّة والجماعة على طريقةٍواحدةٍ وهي (وَلَا نَخُوضُ فِي اللَّهِ) ، قال الله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام: 68].

- **الإنسان المسلم قد تهجِمُ عليه وساوسُ شيطانيَّة في التَّفكُّرِ في ذاتِ الله، ونحوِ ذلك، فقد يُلقي الشَّيطانُ الوساوسَ على المسلمِ، فماذا يجب عليه؟**

وجَّهنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- في هذا المقام إلى ثلاثةِ أمورٍ:

- **الأوَّل**: أن يستعيذَ بالله -عزَّ وجَلَّ- مِن الشَّيطانِ الرَّجيم.
- **الثَّاني**: أن ينتهيَ ولا يسترسلَ، ويتوقَّفَ عن هذا التَّفكيروهذه الوساوس، فلا يسترسلُ ولا يستجيبُ لها.
- **الثَّالث**: أن يُدافعها بقراءةِ الآياتِ العظيمة، مثل قوله تعالى:﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: 3]، وقوله:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[سورة الصمد]. فلا يجوزُ للمسلم أن يخوضَ في الله-عزَّ وجلَّ.

- المِراء مذمومٌ في الشَّريعة، وهو المُحاجَّة والمُجادلَة فيما فيه مِريَة، يعني فيما فيه شكٌّ وتردُّدٌ، والأمور التي ليست واضحةً تمامَ الوضوحِ فالنِّقاشُ فيها والمُحاورةُ فيها يسمَّى مراءً. لكنَّ المراءَ يدخلُ فيه جانبٌ نفسيٌّ هو أنَّ المُتحدِّث يريدُ أن ينصرَ كلامَه، ولهذا بعضهم يقولُ القولَ الخطأ ثم يُفسِّر الشَّريعة بهذا القول الخطأ، أو يُفسِّر الآية بهذا القول الخطأ، ثم يبحثُ ويجادلُ عن هذا ويُحاورُ في هذا، لأنَّه لَحظَ حظَّ نفسِه، ويريدُ أن ينتصِرَ لقوله دونَ النَّظر إلى الأدلَّةِ الشَّرعيَّةِ.

- المراءُ في دينِ الله -عزَّ وجَلَّ- بأن تنظر لنفسِك، وما قلتَه حتى تَنصُرَ قولك، حتى لو كان قولك بغيرِ علمٍ وبغيرِ تحريرٍ، وبغيرِ تحقيقٍ، وبغيرِ مراجعةٍ وتأكُّدٍ، فتجدَ بعضَالنَّاس يُماري، ويُحاولُ أن يُؤيِّدَ قولَه بكلِّ شيءٍ حتى لو بالباطِل، حتى ربَّما لو وَجدَ بعضهم حديثًا ضعيفًا أو مكذوبًا ذهبَ يحتجُّ به أو يُحاولُ أن يقوّيَ شأنَه حتى يستأنسَ به لنُصرة قولِه؛ فهذا مِن المراء المذمومِ.

- عقولنا مهما أوتيت فهي عُرضة للخطأ والتَّغيُّرِ والتّجدُّدِ، واليوم يبدو لك رأيٌ ثم ترجعُ عنه ويظهرُ لك ضَعفُه، فكيفَ تجعل هذه العقول حاكمة على كلامِ الله أو كلامِ رسولِه -صلى الله عليه وسلم- فتردَّ بها الأحاديثَ الصَّحيحةَ الثَّابتة المتواترة؟! فمَن ردَّ حديثَ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- فهو على شَفا هَلَكَةٍ كما قال السَّلف الصَّالح -رحمة الله عليهم.

- **الجدال بالباطل أنواع:**
  - **النوع الأول:** ربما يُجادلُ ليُشكِّكَ في القرآنِ، ويقول: إنَّه ليسَ كلامُ الله، وإنَّما هو كلامُ البشرِ، كما قال الكفار الأولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25]، ﴿قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾[القصص: 36]، وقالوا: هذا قولُ كاهنٍ، وقالوا: هذا قُول شاعرٍ؛ وحالوا أن يختلقوا الأشياء؛ فكلُّ هذا تكذيبٌ للقرآنِ، وهؤلاء الكفَّار الأوَّلون لهم ورَّاثٌ إلى الآن مِن الزَّنادقَة والمستشرقينَ والمُنصِّرين وأعداء الدِّين، فلا زالَ هناك مِن هؤلاء الكفرة مَن يردِّد كلامَ الكفارِ الذين حكى الله أقوالهم في القرآن.
  - **النوع الثاني:** أن يردَّ المعاني الصَّحيحة لهوًى في نفسِه، أو لعصبيَّة لمذهبه أو لطائفتِه أو بدعَتِه، أو يردَّ الحقَّ لشبهةٍ طرأت عندَه، أو يردَّ الحقَّ بالكذبِ والبُهتانِ والافتراءِ على اللهِ وعلى رسوله، ولهذا في طوائف مِن أهلِ البدع مَن يَكذبُ على الله -عزَّ وجلَّ- ويَكذب على الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم- ويُروِّجُ الكذبَ على الله وعلى رسوله ويفتري ولا يخافُ مِن الله؛ فهؤلاء جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقَّ.
  - **النوع الثالث:** مِن الجدالِ في القرآن بهذه الطَّريقة الكفريَّة المخرجَة من الملَّة: مَن يزعُم مِن العلمانيين المتأخِّرين أنَّ القرآنَ قابلٌ للنَّقدِ. وعجبًا لهؤلاء! فهذا الكلام مَن قاله فهو كافرٌ باللهِ العظيم، فكلامُ الله حقٌّ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ

﴿قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت42 - 43]، هؤلاءِ مكذِّبونَ للرَّسلِ ومكذِّبونَ للرِّسالاتِ، ومكذِّبونَ للقرآنِ.

- المجادِل غيرُ المُحاور، فالحوار هو أيُّ نقاشٌ بين طرفين، لكن المُجادِل عنده لَدَدٌ وعنده شيءٌ من الخصومة حتى يُثبتَ صحَّةَ ما يقوله ، ولهذا فالجدالُ في الأغلب غيرُ محمودٍ، وإنَّما يُحمَد منه ما كان لنصرة الحقّ، وما كان بالتي هي أحسن، ولهذا ينبغي لمَن يريد أن ينشرَ الحقَّ ويُبيِّنَه أن يكونَ كلامَه بعلمٍ وبالدليلِ وبالحجَّةِ الشَّرعيَّة والعقليَّة والفطريَّة، ويستخدم الأدلَّة الصَّحيحة، والقرآنُاشتمل على أصولِ الأدلَّةِ الصَّحيحةِ من الأدلَّةِ العقليَّةِ، والأدلَّةِ الشَّرعيَّةِ، والأدلَّةِ الفطريَّةِ، والأخبارِ الصَّادقةِ، والأحكامِ العادلةِ؛ فلهذا ينبغي أن يتفطَّنَ أهلُ العلمِ وطلابُ العلم لِما في القرآن من الحُجج العقليَّة والبراهينِ الصَّحيحة اليقينيَّة في الرَّدِّ على أهلِ الباطل، ويستفيدَ مِن طرقِ القرآن في الرَّد على أهلِ الباطلِ.

- الجدالُ يكون بالحقّ تارةً، ويكونُ بالباطلِ تارات، ولهذا يجبُ على المسلم أن يلزم الطَّريقةَ الصَّحيحةَ، وهي الجدال بالتي هي أحسن ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: 125]، وفي قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[العنكبوت: 46]، فبعض الناس معاند يريد الباطل حتى لو تبيَّن له الحقُّ لا يريد، فهذا لا يُجادَل، يُلقَى الحقَّ إليه ولا يُناقَش، حتى بعض المبتدعة سواء من الجهميَّة أو المعتزلة أو الأشاعرة أو المتصوّفة أو الشّيعة أو غيرهم؛ تجدُ بعضَهم متعصِّبًا لباطِله، فهؤلاء تُلقِي إليهم الحقَّ ولا تجادلهم، أَسْمِع النَّاس الحقَّ مِن كلامِ اللهِ وكلامِ رسولِه -صلى الله عليه وسلم- والمعاني الصَّحيحة التي تضمَّنها كلامُ اللهِ وكلامُ رسولِه ولا تدخل معهم في المناظرات وإضاعة الأوقات.

* **النوع الرابع:** وهو إنكارُ القراءة الثَّابتة. وورد في هذا أحاديث عن الرَّسول-صلى الله عليه وسلم- فإنَّ القرآن أُنزِلَ على سبعةِ أحرف، والنَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أقرأَ الصَّحابة على عددٍ من القراءات، فبعضُ النَّاس لجهله ربَّما يُنكِرُ قراءةً ثابتةً صحيحةً عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وهذا مِن الجدال في القرآن، ولا يجوز مثل هذا.
* **النوع الخامس:** مِن الجدال المذمومِ في القرآن: أن يُفسَّر القرآن بالرأي وبالظَّن. فلا يجوزُ أن تُفسِّرَ القرآن برأيك مهما كنتَ، إنَّما يُفسَّر القرآن بالقرآنِ وبالسُّنَّة الصَّحيحة، وبأقوالِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ وأتباعهم، وعلماءُ أهلِالسُّنَّة والجماعة، وبما تقتضيه اللُّغة العربيَّة، أمَّا التَّفسيرات المخترعة والمُتكلَّفة والمبتَدعَة، أو تنزيلُ بعضِ الوقائعِ العصريَّة وتفسير القرآن بمقتضاها مع أنَّها قد تتغيَّر وقد تتبدَّل ويسمون هذا "الإعجاز العلمي" فيدخلُ في هذا أن يُنسَب إلى القرآن ما ليسَ منه، فبعضُ النظريَّاتِ قابلة للصَّواب والخطأ، وقابلَة للدِّراسة، فيأتي بعضُ النَّاسِ ويستعجب ويقول: المراد بهذه الآية كذا وكذا -بمسمى الإعجاز العلمي- ولا يتثبَّت! فهذا كلُّه مِن الجدالِ بالباطلِ، ومن التَّفسيرِ بالرَّأي، ويجبُ الحذر مِن هذه المسالك.

- يجبُ عليكَ أن تتكلَّمَ بعلمٍ، ولا تتكلَّم بغيرِ علمٍ. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86]، فلا تتكلَّف، وقلْ: الله أعلم، لا أدري، سنبحثُ في هذه الآية ونبحثُ في تفاسيرِ العلماء الموثوقة كتفسيرِ ابن كثير، وتفسيرِ ابن جرير الطبري، وتفسير البغوي، وهكذا من المعاصرين تفسير السَّعدي، نراجع تفسير الآية حتى نقفَ على المعنى الصَّحيحِ، ولا تتكلَّم بغيرِ علمٍ. فهذا -أيُّها الإخوة الكرام- التَّعليق على قوله (وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ).

- عقيدةُ أهل السُّنَّةِ والجماعةِ، فيقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله، منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، منه بدأَ وإليه يعود، وأنَّ الله تكلَّم به حقيقةً، ولا يجوزُ القولُ بأنَّه عبارةٌ عن كلامِ الله، أو حكايةٌ عنه؛ لأنَّ هذا هو قولُ الأشاعرة والماتريدية، وهو قول باطلٌ فاسدٌ.

- مِن العملِ بالقرآنِ والإيمانِ به: العملُ بسنَّةِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والإيمان بها ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، وأمَّا من يقول: نأخذ بالقرآن ونترك السُّنَّة فهذا كافر، لأنَّه مكذِّب بما أمرَ الله به، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 4]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

- لا يمكن أن يُماثل كلامُ الله -عزَّ وجلَّ- كلامَ المخلوقين، فكلامُ المخلوقين ناقصٌ مهما أوتوا مِن بلاغةٍ ومهما أوتوا من فصاحةٍ ففيه النَّقصُ وفيه الغلطُ، وفيه التَّناقض ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

- معنى قولهم أنَّ القرآنَ مخلوقٌ أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لم يُرسِل محمدًا، ولم يقلْ له "اقرأ"، ولم يبعثْ أحدًا من الأنبياء، ومعنى قوله "إن القرآن مخلوق" هو إبطالٌ لجميعِ الشَّريعة. بل إبطالُ جميعِ الشِّرائعِ، وإبطالُ جميعِ الرِّسالاتِ، والقولُ بخلق القرآن هو وصفٌ للهِ بالعجزِ، ونفيٌ لصفةِ الكلامِ لله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وتعطيلٌ للشَّريعةِ الإسلاميَّةِ، ولهذا فإنَّ السَّلفَ أجمعوا على كفرِ مَن قالَ بهذا القول، وأنَّ القولَ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ كفرٌ، ولهذا عُذِّبَ الإمامُ أحمد على هذا من قِبَل المعتزلة الضُّلَّال فَصَبَرَ -رحمة الله عليه.

- الجماعة يُراد بها: الاجتماع على الحقّ، وعلى السُّنَّةِ والعملِ بمقتضاها، فالخروجُ عن وليِّ الأمر خروجٌ عن الجماعةِ، والخروجُ عن هديِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والصَّحابَة خروجٌ عن الجماعةِ، فهذان الأمرانِ متلازمان.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس السادس

الحمد لله رب العالمين، اللّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- المرادَ بأهلِ القِبلة: المسلمون لقولِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ»[٣٢]، فمَن ثبتَ إسلامه فهذا له حُرمةٌ وله حقٌّ علينا، لا يجوزُ أن نعتديَ عليه لا في مالِهِ ولا في عِرضِهِ ولا في دَمِهِ، ومِن أعظمِ البَغي ومِن أعظمِ الاعتداءِ تكفيرُه بغيرِ حقّ.

◆ تكفيرُ المسلمِ بغيرِ حقٍّ ليسَ مِن منهجِ أهل السُّنَّة والجماعةِ، بل هو مِن منهجِ الخوارجِ والمُعتزلَةِ، فالخوارجُ يصرّحون بتكفيرِه، والمُعتزلَة يصرّحون بخروجه مِن الإيمانِ والإسلامِ، ويقولون: هو في منزلةٍ بين المنزلتين.

- الذَّنبَ الذي هو دونَ الشِّركِ كالسَّرقة، والزّنا، والقتلِ، وشربِ الخمر، وأكلِ الرّبا، وأكلِ مالِ اليتيم، ونحو ذلك مِن الموبقاتِ؛ هذه الذُّنوب لا تُخرِج مِن ملَّة الإسلام، ولا يجوزُ أن يُخرَجَ الإنسانُ مِن الدِّين الإسلامي إلا بيقينٍ، ولهذا فإنَّ التَّكفيرَ حقٌّ لله ولرسولِه، ليسَ لأهوائنا ولا لرغباتنا، ولا لعواطفنا دخلٌ في ذلك، وإنَّما يجبُ علينا أن نلتزمَ طريقةَ الكتابِ والسُّنَّة، وطريقةَ أهلِ العلمِ الراسخينَ فيه مِن أئمة أهلِ السُّنَّة -رحمة الله عليهم- هذا هو المنهج الصَّحيح في مسائلِ التَّكفير.

- إذا كُفِّرَ المسلمُ بغيرِ حقّ، فهذا سيكونُ خَصمًا لك يوم القيامة، لأنَّ قولك للشَّخص: يا كافر؛ أعظمُ مِن رميكَ لَه بالسَّرقةِ أو بالقتلِ، أو بالزّنا، لأنَّ الكفرَ أعظم الذُّنوب، فهو أعظمُ من الذُّنوب كلِّها، ولهذا أعظم البغي أن يُخرَجَ العبدُ من الدِّين وهو ليسَ كذلك، فهذا عدوانٌ عظيمٌ وإساءةٌ بالغةٌ لا نظيرَ لها.

◆ الإنسانَ إذا ركب هذا الأمر وكفَّر غيرَه بغيرِ حقّ فقد سَلَكَ مَسلكَ الخوارج، فالخوارج كفَّروا المسلمين، وجعلوا الآيات التي نزلت في المشركين في المؤمنين، وأخرجوهم من الدِّين، وأوَّل مَن فعلَ ذلك الخوارج الذين خرجوا في آخرِ عهدِ عثمان وتسبَّبوا في مقتلِه، ثم خرجوا على علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم أجمعين.

- الخوارج حكَمُوا بالتَّكفيرِ بغيرِ حقٍّ، فالذي يُكفِّرُ أحدًا مِن أهلِ القبلة بغيرِ حقٍّ يَسلُك مَسلكَ الخوارج، وكفى بهذا خِزيًا وعارًا وإثمًا وذنبًا، لأنَّ الخوارجَ وردَ فيهم الوعيد الشَّديد عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ومنه قوله: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[٣٣] -نسألُ الله العافيةَ والسَّلامة.

---

[٣٢] صحيح البخاري (381).
[٣٣] صحيح البخاري (3117).

- مِن آثار التَّكفِير بغيرِ حقٍّ: سفكُ دماءِ المسلمين، وإيجاد الإحَنِ والعداواتِ والأحقادِ بينَ المسلمين، والخروج على جماعةِ المسلمين وإمامِهم، وغير ذلك من المفاسد العظيمة.

- إذا حُكِمَ على الشَّخص بأنَّه غيرُ مسلمٍ بانت منه زوجته، ومُنعَ التَّوارث بينه وبين أقاربه المسلمين -أولادًا أو آباءً- وكذلك لا يُغسَّلُ ولا يُكفَّن، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، كل هذه الأحكام الخطيرة لا يجوزُ للمسلم أن يطلقها إلا بيقينٍ مثلَ الشَّمس، وهو أن يرجع إلى أهل العلم الراسخين فيه، ولا يستعجل ولا يتسَّرع كسفهاء الأحلام وحدثاء الأسنان، وليكن المسلم ثابتًا على السُّنَّة، ومتمسكًا بغَرْزِ أهل العلم لا يخرج عن قولهم، ولا يتجرَّأ على التَّكفِير، فإذا تجرَّأ على الفتوى فقد تجرَّأ على النَّار، والفتوى قد تكونُ أسهل؛ فكيف إذا تجرَّأ على التَّكفِير؟!

- لا مقارنة بينَ الفتوى بغيرِ علمٍ وبينَ التَّكفِيرِ بغيرِ حقٍّ، لا شكَّ أنَّ التَّكفِيرَ بغيرِ حقٍّ أخطر بكثير.

◆ دلَّ القرآنُ الكريم، ودلَّت السُّنَّةُ المطهَّرة، وإجماعُ المسلمين على أنَّ ارتكاب الذُّنوب التي دون الشِّرك لا تُخرج مِن الملَّة، ولا توجب التَّكفِير.

- بعضُ الخوارج يحتالون ويجعلونَ الدّول الإسلاميَّة طوائفَ ممتنعة، ثم يقولون: إنَّ هذه الطَّوائفُ الممتنعة امتنعت عنتطبيقِ الأمرِ الفلاني، أو امتنعت بفعلها المحرَّم الفلاني، إذن يجبُ قتالها ومحاربتها، وإذا حاربتنا وقتلتنا فهي كافرة مرتدَّة، فصاروا يُكفِّرون بالذّنبِ بهذه الحِيَل التي يخدعونَ بها الصِّغار، ويخدعونَ بها مَن لا يعرفُ العلمَ.

- لِيعلم المسلم أنَّ هؤلاء الخوارج عندهم عبادة، وعندهم تديُّن، وعندهم ابتهال؛ فلم تنفعهم عبادتهم، ولم ينفعهم تديُّنهم، ولا ابتهالهم، ولا ذكرهم لله -عزَّ وجلَّ.

◆ هناك ذنوبٌ عظيمةٌ كالشِّركِ، والكفرِ، والإلحادِ، والنِّفاقِ الأكبر؛ كلُّ هذه مخرجَةٌ من الملَّة الإسلاميَّة بإجماعِ المسلمين.

- هناك أمورٌ إذا تركَها كَفَرَ، كتركِ الصَّلاةِ، ثبتَ عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: **«الْعَهْدُ الَّذِي بيْنَنَا وَبيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**[٣٤].

- المعيار في التَّكفِيرِ في هذه الأمور يكونَ بالأدلَّة الشَّرعيَّة، ليسَ بالأهواءِ ولا بما يضعه النَّاس، حتى لو كانَ كلام عالمٍ فنردُّه إلى النُّصوصِ، ونردُّه إلى فَهمِ الصَّحابةِ والسَّلفِ الصَّالحِ -رحمة الله عليهم.

---

[٣٤] مسند أحمد (22334).

- الاستحلال: هو الاعتقاد أنَّه حلال ، وليسَ معنى الاستحلال الإصرار على الذَّنبِ، فلو أنَّ رجلًا أصرَّ على الذَّنبِ ولقيَ الله وهو مصرٌّ على الذَّنبِ؛ فيُعتبر مسلمًا، لكن لا يخرجُ مِن الإسلام بسببِ إصراره على الذَّنبِ، صحيحٌ أنَّه زادَ إثمُه، ولكن لا يخرج مِن الدِّين، فالإصرارُ على الذَّنبِ والتَّساهلُ في ارتكابِ الذُّنوبِ، والاستمراءُ للذُّنوبِ، والرِّضى بالمعاصي والاستمرارُ عليها والأنسُ بها؛ هذا لا شكَّ أنَّه يدلُّ على ضعفِ الإيمان بشدَّة، لكن لا يُخرَج من الإسلام بهذا.

- أهلَ السُّنَّة والجماعَة يُفرِّقون بينَ التَّكفيرِ المطلَقِ والتَّكفيرِ المعيَّن.
  - **التَّكفيرُ المطلَق:** أن تُذكَرَ المقالَة الكفريَّة، بغضِّ النَّظرِ عن قائلها. فيُقال: مَن قالَ إنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو كافرٌ، مَن قالَ أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- حالٌّ في كلِّ الأمكِنةِ ومختَلِطٌ بالمخلوقاتِ فهو كافرٌ، مَن أنكرَ أسماءَ اللهِ وصفاتِه فهو كافرٌ. هذا يُسمَّى التَّكفيرُ المطلَق.
  - **التَّكفيرُ المعيَّن:** هو أن يُقال: فلان ابن فلان الذي قال كذا وكذا هو كافرٌ بعينِه.
  - التَّكفيرُ المطلَق يُشترَط فيه أن تكونَ المقالةُ كفرًا، ومناقِضةٌ لكتابِ الله وسنَّة رسوله، وموجبة للتَّكفيرِ. هذا شرطٌ.
  - التَّكفيرِ المعيَّن يُشترط فيه أكثر مِن ذلك، فيُشترط فيه ما تقدَّم في التَّكفيرِ المطلَق، ويُشترَط ثبوت هذا بيقينٍ عن الشَّخصِ المعيَّن، واجتماعِ شروط التَّكفِير، وانتفاء موانع التَّكفِير؛ حتى يصحَّ إطلاق التَّكفِيرِ على المعيَّن.

- هناك مِن النَّاسِ مَن يَكفر بعدَ إسلامِه، قال تعالى عن المستهزئين بالدين: ﴿**لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة: 66]، لكن لا يُطلَق هذا إلا بعدَ التَّثبُّتِ والتَّبيُّنِ، وهذا دلَّت عليه النُّصوص الشَّرعيَّة، ونذكرُ منها قولَالنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في الرَّجل الذي فقدَ ناقتَه وطعامَه وشرابَه في الصَّحراء، فلمَّا نامَ واستيقظَ ووجدَها فوقَ رأسه، فشكر الله، ورفعَ يديه يدعو ربَّه وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»[٣٥]، فالقول هذا كفرٌ، فقالَ لله تعالى "أنت عبدي"؛ ولكنَّه لم يُكفَّر لأنَّه مخطئ، والله تعالى يقول:﴿**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [البقرة: 286]، فالخطأ مانعٌ مِن موانعِ التَّكفِيرِ، وهذا دليلٌ على التَّفريقِ بينَ التَّكفِيرِ المطلَق والتَّكفِيرِ المعيَّن.

- هناك موانع للتَّكفيرِ، وهي:الخطأ، والنِّسيان، والإكراه، والجهل، والتَّأويل، والعجز؛ هذه ستَّة.

- يجب على المسلم أن يحذَر مِن التَّسرُّعِ في تكفيرِ المسلمين بغيرِ حقٍّ، وأن يتورَّعَ، وأن يلزَمَ طريقةَ العلماء، خصوصًا في الأمور المشكِلة. فأهلُ العلم والفُتيا والقضاء هم المردُّ للنّاس، قال الله تعالى:﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ**

[٣٥] صحيح مسلم (4938).

﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء: 83]، هذا معنى قوله **(وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)**.

- المُرجِئَة عندهم أنَّ الإيمان هو التَّصديق، فإن صدَّق بقوله حتى لو وقعَت منه الذُّنوب، فإنَّ التَّصديق لا يتزحزح ما دام أنَّه صدَّق بالله، وصدَّقَ بالرَّسول -صلى الله عليه وسلم- وصدَّقَ باليومِ الآخرِ، فلو ارتكبَ الذُّنوبَ لا يضرُّه ذلك. **وهذا كلامٌ باطلٌ من عدة أوجه:**
  - **أولًا:** أنَّ الإيمانَ ليسَ تصديقًا فقط، الإيمانُ هو: التصديقُ بالقلبِ، والعملُ بالجوارحِ، والقولُ باللسانِ. هكذا دلَّ القرآن، ودلَّت السُّنَّة المطهَّرة، وأجمعَ المسلمون مِن الصَّحابَة والتَّابعين على هذا، فمَن قالَ غير ذلك فقد سَلَكَ خلافَ سبيلِ المؤمنين.
  - **ثانيًا:** دلَّت النُّصوصُ الشَّرعيَّة والأحاديثُ على أنَّ مَن ارتكبَ الذُّنوبَ فهو على خطرٍ. كيف تقول "لا يضر" وهو على خطر؟

- أهلُ الإسلام على درجاتٍ متفاوتون كما قال الله -عزَّ وجلَّ- في سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: 32]، **ثلاث درجات:**
  - ☑ السَّابقون بالخيراتِ: هم أعلى، وهم المحسنون.
  - ☑ المقتَصِدُون: هم المتوسِّطون.
  - ☑ الظَّالمون لأنفسِهم: هم الذين وقعوا في الذُّنوب.

- المذنبون لا نُقنِّطهم مِن رحمةِ الله، انظر للبغيّ التي سقت كلبًا فشكر الله لها فأدخلها الجنة [36]، فالمقصود أنَّ هذا المذنبحَصَلَ في قلبِه لمَّا أهانه هذا الرَّجل واستحقَرَه، وقال: لا يغفرُالله لك، وأنتَ كذا وأنت كذا...، فحصَلَ في قلبِه استكانَةٌ وضعفٌ بين يدي الله -عزَّ وجلَّ- فأوجبَ له أن يُغفر له، وذاك حصلَ في قلبه استكبارٌ بسببِ عبادتِه ورؤيتِه لنفسِه، فصارَ مِن أهلِ النَّارِ، فانتبهوا -نسأل الله أن يحفظنا وأن يحفظ ألسنتنا- فالرَّجل «لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» [37]، وهذا هو الموضوع، فهو عندما يرى المذنبين وأهل المعاصي فيقول: هذا في النَّار، ويقول: أنتم لا يَغفر الله لكم. فلا يجوزُ هذا الكلام؛ بل ادعُ لهم أن يهديَهم، وانصحهم، وأنكِر عليهم، لكن لا تَحكمَ عليهم بأنَّهم لا يُغفَر لهم، فهذا غلطٌ عظيمٌ جدًّا، فما داموا مِن أهلِ التَّوحيدِ ومِن أهلِ الإسلامِ فيُرجَى لهم أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يوفِّقَهم للتَّوبةِ، ولعلَّهم يندَمون، وهذا في الحياة، أمَّا إذا مَاتوا على الذُّنوبِ ولم يتوبوا منها فنخافُ عليهم، ولكن لا نُقنِّطهم، ولا نقطعُ لهم بنار. هذا ما يتعلَّق بهذه الجملة.

---

[36] جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - قَالَ: «غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ» صحيح البخاري (3094).
[37] صحيح البخاري (6024).

◈ أصولَ العبادة ثلاثة: حبٌّ، وخوفٌ، ورجاءٌ.

- الله -سبحانه وتعالى- الذي تعبده تُحبُّه وترجوه وتخاف منه، وهذا مذكور في قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

- مَن خاف مِن الله -عزَّوجلَّ- لا يُقنِّط نفسه ويقول: أنا في النَّار، ولن يغفر الله لي، لأنَّ ذنوبي كثيرة. الله-عزَّ وجلَّ- قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، ومغفرة الذنوب جميعًا ليس معناه أن تذهب لأصحابِ القبور، أو إلى وليٍّ، أو إلى شيخِ طريقةٍ، أو بعض النَّاس الذين يغترُّون بالتَّنظيمات الضَّالة فيأتي ويقول: تعالَ معي نُقاتل تحتَ راياتٍ جاهليَّةٍ حتى تُكفِّر ذنوبك! لا، إذا دعوتَ الله، وصَدَقْتَ في التَّوبة، وأقلعتَ عن الذُّنوبِ وندمتَ عليها؛ سيغفر لك الله.

- **هذه شروط التَّوبة:**
  - الإقلاع عن الذَّنبِ.
  - العزمِ على ألا تعود.
  - النَّدمِ على ما فاتَ منك.

- **متى يخرج العبد من الإيمان؟**

إذا وقعَ في المكفِّرات المخرِجَة مِن ملَّةِ الإسلامِ، لكن المؤلف قصرَها على واحدٍ مِن هذه المكفِّرات، وهو الجحود -أي التَّكذيب.

- هناك فرقٌ لطيفٌ بينَ الجحودِ والتَّكذيبِ:
  - الجحودُ: أن يجحدَ حتى لو لم يعتَقِد كذبه، فيردُّ الحقَّ، ويردُّ كلام الله، ويردُّ الرِّسالَة، حتى لو علِمَ أنَّه حقٌّ. فهذا جاحِدٌ.
  - التَّكذيب: أن يقول: هو كذاب.

- نواقضُ الإسلامِ كثيرةٌ -نسألُ الله أن يثبتنا على الإسلامِ- وكُتبُ الفقهاءُ في المذاهب الأربعة نصَّت على هذه النَّواقض، فهي ليست مقصورةٌ على الجحودِ أو التَّكذيبِ، فهناك نواقض تكون بالأعمالِ، كالسُّجودِ للصَّنمِ، ووَطئِ المصحَفِ، والاستهزاءِ بالقولِ أو بالفعلِ، فهناكَ نواقضٌ بالعملِ، ونواقضٌ بالقولِ، ونواقضٌ بالاعتقاد، فيا مُقلِّبَ القلوبِ ثَبت قلوبَنا على دِينكَ.

◈ المؤمنُ يحافظُ على إيمانِه مِن أي ناقضٍ، وحتى مِن أي نقصٍ، ويحرصُ على الإيمانِ والثَّباتِ عليه، ويحرصُ على أسبابِ زيادَته، ويبتعدُ عن أسبابِ نقصَانِه، فما بالك بالأمورِ التي تنقض الإيمان! فيجبُ أن يحذرَ منها أشدَّ الحذر، وهذا لا يتأتَّي إلا بالعلمِ النَّافعِ، والعملِ الصَّالحِ.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

## الدرس السابع

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- يقول الطحاوي -رحمه الله: **(وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ)**، هذا هو تعريف الإيمان عِندَ المُرجئة وليس عند أهل السُّنَّة والجماعة. ولهذا فإنَّ هذا القول مُخَالفٌ للحقِّ ومخالفٌ لِمَا أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة. فأهل السُّنَّة والجماعة أجمعوا واتَّفقوا على أنَّ الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعملٌ، حكى هذا الإجماع الإمامُ البخاري محمد بن إسماعيل، وأيضًا ذكر اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة إجماعات أهل العلم، كسفيان بن عيينة، والبخاري، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل؛ وغيرهم من أئمَّة أهل السُّنَّة وأئمَّة أهل الحديث على أنَّ الإيمان: قول واعتقاد وعمل.

- **لماذا سُمُّوا مُرجئة؟**

من الإرجاء، وهو: التأخير. والمراد: إخراج العمل عن الإيمان؛ فهم قد أخرجوا العملَ عن الإيمان.

◆ الصواب والواجب على جميع أهل الإسلام أن يقولوا بمثل ما نطق الكتاب العزيز والسنة المطهرة، واتَّفق عليه الصحابة والتَّابعون لهم بإحسانٍ، وهو: أنَّ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

- **فالإيمان يتكوَّن من ثلاثة أمور:**

✸ **الأول:** الاعتقاد: ويقصد به الأمور التي تكون في القلب من الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه.

✸ **الثاني:** القول باللسان، شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وكلُّ ما أمر الله به أَمْرَ إيجابٍ أو أَمْرَ استحبابٍ فهومن الإيمان.

✸ **الثالث:** العمل بالجوارح، مثل: الصلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، وغير ذلك من الأعمال، كبرِّ الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وكفِّ الأذى، وحُسنِ الخُلق، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، والجهادِ في سبيلِ الله، والأعمال كثيرة ومذكورة في الكتاب والسنة، ومنها: إماطة الأذى عن الطريق، وهذا معنى قوله -صلى الله عليه وسلم: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا**

شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[٣٨]،
فقول:«لا إله إلا الله» هذا قول باللسان، وإماطة الأذى عن الطريق هذا عمل بالجوارح، والحياء عمل قلبي.

- **المرجئة أصناف شتَّى:**
  - **النوع الأول:** مَن يُخرج العمل، لكنَّه يُوجبه ويُلزمُ به، ويؤاخذ على مَن ترك الواجبات، أو فعل المحرمات. وهؤلاء يُسمَّون "مرجئة الفقهاء" ومنهم الطَّحاوي وجماعة كثيرون من أهل العلم غَلطوا في اللفظِ، وهذا لا شك أنَّه غلط خطير جدًّا فتح الباب وأورث الشُّبَه.
  - **النوع الثاني:** عموم المرجئة الذين يُخرجون العمل من الإيمان، وبعضهم يقول: لا يضر إذا ترك الواجب، أو فعل المحرم ما دام مصدِّقًا بقلبه متكلمًا بلسانه. وهؤلاء المرجئة المبتدعة المذمومون.
  - **النوع الثالث:** مَن قال: حتى القول باللسان لا يُحتاج إليه، يَكفي التَّصديق بالقلب. وهذا من الأقوال الشَّنيعة، ولهذا تلاحظون أنَّ الطحاوي قال فيما يُخرج من الإيمان: الجحود فقط، وذلك في المسألة السابقة، في الدرس الماضي، قال: (وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ) ، فجعلَ مقابل التَّصديق: الجحود، ولهذا لم يجعل الأمور الأخرى داخلة في أسباب خروج العبد من الإيمان، وقد تقدَّم التعليق على هذا. فالمسألة مسألة عظيمة.
  - **النوع الرابع:** غُلاة المرجئة الذين يقولون: يكفي المعرفة بالقلب، وهذا أشدُّ وأشنع. فعلى هذا القول يكون أهل الكتاب الذين قال الله -عزَّ وجلَّ- عنهم في شان محمد -صلى الله عليه وسلم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[البقرة:146]، فإذا عرفوه كما عرفوا أبناءهم؛ إذن هم على هذا المذهب، وأنَّهم مؤمنون، لأنَّهم عرفوا النبي -صلى الله عليه وسلم- وعرفوا أنَّه حقٌّ.

- حُفِظَ عن الإمام أبي حنيفة -رحمة الله عليه- والإمام مالك بن أنس والإمام الشَّافعي، وغيرهم؛ حُفِظ عنهم أنَّهم يقولون: "إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي"، فكل أهل العلم مُعظِّمون لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فإذا ثبت عندهم وصحَّ قَبِلُوه وَعَمِلُوا بِه، واعتقدوا مَضمونه، لا يقولون نأخذ به في العمل دون الاعتقاد؛ كما يقول بعض أهل الكلام؛ بل يُؤخذ به في الاعتقاد وفي العمل، يؤخذ به في الأعمال والأحكام الشرعيَّة، ويؤخذ به في العقائد؛ لأنَّه كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي قال الله -عزَّ وجلَّ- عنه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:4]، وما ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم.

- النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يُرسل أصحابه إلى المناطق يدعون إلى الله -عزَّ وجلَّ- ويُخبرون الناس بالأحكام الشرعية، فأرسل معاذًا إلى اليمن، وأرسل أبو موسى إلى اليمن، ثم أرسل بعده عليًّا إلى اليمن، وأرسل إلى سائر المناطق بعضَ الصحابة يُعلمون الناس، فكان يُرسل الآحاد من الأشخاص، واحدًا بعد واحد، فيأتون إلى الناس يُخبرونهم بما حصل عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبما قاله رسول الله -

---
[٣٨] البخاري ومسلم

صلى الله عليه وسلم- فلم يقل أحد من المسلمين: لا، لابدَّ أن يتواتر! فهذا مذهب المبتدعة، فلا يجوز العمل به ولا الأخذ به.

- الإيمان ليس واحدًا، وليس أهله في أصله سواء، بل الإيمان يتفاضل، ويزيد وينقص، وأهله مُتَفَاضِلُون مُتَفَاوِتُونَ في أصله، ومُتَفَاوِتُونَ في العِلم، ومُتَفَاوِتُونَ في القَول، وبينهم تفاوت عَظيم، وليس تصديق أبي بكر كتصديق ضُعفاء الإيمان، وأهل الفسقِ والعصيانِ منَ المسلمين؛ لأنَّ الفاسق من المسلمين إيمانه ضعيف، وتصديقه ضعيف، وعمله ضعيف، وقوله ضعيف، بخلاف تصديق أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة؛ لا شكَّ أنَّهم أعلى وأكمل في التَّصديق.

- في مسألة التَّصديق فالناس يتفاوتون، فلو أُخبرتَ أنتَ بخبرِ صادقٍ أنَّه حدث الشيء الفلاني، أخبرك شخص واحد وهو ثقة عندك، فصدَّقتَ هذا الخبر؛ فقد حصل عندك تصديق، لكن لو جاء بعده عشرة أو عشرون أو مائة أخبروك بنفس الخبر، فهل التَّصديق اختلف أو زاد؟
زاد وتأكَّد عندك جدًّا. فهذا من ناحية وصول الخبر.

- هؤلاء المرجئة يقولون: الإيمان هو التصديق، مثل ما تقول أنت: السماء فوقك والأرض تحتك، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله مثل هذا الأمر، مثل أن تقول: هذا كأس ماء. أنت ترى الماء الآن وتقول: هذا ماء، فتصديقي بوجود الماء مثل تصديقك، مثل تصديق الثاني؛ ما بيننا تفاوت في هذا.

- الواجب أن يُقال: إن الإيمان يتفاضل أهله في أصله، وفي أعماله وثماره وفروعه وأقواله.

- هؤلاء المرجئة أخرجوا الأعمال وأخرجوا الأقوال، وجعلوه، أي: الإيمان، مجرد التَّصديق، وإذا زال بعض التصديق زال كله، فإذا ذهب التصديق عندهم ذهب الإيمان.

- عند الخوارج: إذا ذهب شيء من الواجبات بفعل الذنوب خرج عن الإيمان.

- مما يدل على بطلان هذا القول -أيُّها الإخوة الكرام- أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- **قسَّم هذه الأمة ثلاثة أقسام** في سورة فاطر﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[فاطر: 32]
  - فالسابق بالخيرات بإذن الله: هو الذي فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات، وابتعد عن المكروهات، واستقام على الدين.
  - المقتصد: هو الذي فعل الواجب وترك المحرَّم، واقتصر على هذا فقط.
  - الظالم لنفسه: وهو الذي فعل بعض الذنوب.

- **فالبشر والجن والإنس على قسمين:**

- ❖ منهم مَن هو عدوٌّ لله.
- ❖ ومنهم مَن هو وليٌّ لله.

✸ **القسم الأول:** فأعداء الله هم الكفار والمشركون، والشياطين، والمكذبون للرسل؛ هؤلاء هم أعداء الله لأنهم كذبوا رسله، وكفروا به، ولك يدخلوا في دينه.

✸ **القسم الثاني:** هم المؤمنون والمسلمون، فهؤلاء أولياء الله، **ولكنهم متفاوتون:**

- ✓ فمنهم من ولايته كاملة لقيامه بالواجبات، وترك المحرمات، وطاعته لله ولرسوله، واتباعه للقرآن﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[الحجرات: 13]
- ✓ ومنهم مَن هو وليٌّ لله من وجه، ولكن عنده عداوة لله من وجه آخر، **وهذا يجمع في المؤمن العاصي والفاسق:**
- ✓ مثل: المرابي -الذي يفعل الربا- هذا إذا كان مسلمًا فهو وليٌّ لله من جهة الإسلام والإيمان، ولَمَّا فعل الربا صارَ بهذا الفعل محاربًا لله ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[البقرة: 279]، لكن هل يكفر؟ لا يكفر، بقيَ إسلامه وبقي إيمانه ضعيفًا، فاجتمع هذا وهذا. وأكل الربا هو أضعفَ الإيمانَ وأوهنَه.
- ✓ ومثل: شرب الخمر، فهذا من الكبائر والموبقات، فإذا وقع فيه المسلم -نسأل الله لنا ولكم العافية- فهذا يُوهن إسلامَه ويُضعِفَه، ولكن هل يخرج من الإسلام؟ لا يخرج من الإسلام.
- ✓ ومثل ذلك السَّرقة: لو سرق، فإن السرق من كبائر الذنوب، وتُنقص الدين، وتقدَّم الكلام عن الكبائر.

➢ هذه الذنوب تجعل الإنسان يقع فيه عداوة لله بارتكابه لهذه الذنوب؛ لأنه عصى الله، فإذا تاب تاب الله عليه، لكن هذه المعاصي وهذه الذنوب هل تخرجه من ملة الإسلام؟

نقول: لا تخرجه من ملة الإسلام.

➢ الأولياء والصَّالحون من أهل الإيمان يحبون في الله ويُحتَرَمون، ويُعطى لهم حقهم بغير غلو، لكن ما تفعلونه من جهة الطواف بقبورهم، والطواف لهم، والذبح لهم، والنذر لهم، والاعتقاد فيهم، أو أنهم يملكون الشِّفاء، أو أنَّهم يشفعون لهم عند الله؛ هذا هو اعتقاد أهل الجاهلية، فيجب ترك هذه الأمور.

➢ معنى الولاء: هو المحبة والنُّصرة والقرب، وهو مأخوذ من (ولْي) هو القرب، ولهذا تقول: فلان يلي فلان –يعني: بقربه- يعني: مواليًا له وقريب منه.

➢ **الدليل على أنَّ الإيمان يزيد وينقص.**

✸ قال الله تعالى:﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[الأنفال:2].

- قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[الحجرات: 7]، فكل ما لم يكن يحبه من قبل فإنه ناقص، ولمَّا حبَّبه الله إليه زاد وثبت عليه.
- كذلك جاء النَّقصان في الإيمان مُصرَّحًا به في السُّنَّة في قوله -صلى الله عليه وسلم: «مَا رَأَيْتُ مِنَ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» ، فذكر نقص الدين، فسئل عن ذلك فقال: «أَوَ لَيْسَ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ "قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: "فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا!»[٣٩]، فبيَّن أنَّ نقص الدين هنا بأها تجلس أيام الحيض لا تصلي، ولا شك أنها معذورة، ولكنه ينقص علها بسبب قلة العمل، ولكنها ترقع هذا بالذكر وبالقيام بالطاعة، فهي على خير -إن شاء الله.
- الحديث «وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[٤٠]، وقد تقدم ذكره، وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص.
- قوله -صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٤١]، إلى آخر الحديث، فهذا دليل على نقص الإيمان، ونفي الإيمان هنا هو نفي الإيمان الواجب، وليس نفي أصل الإيمان، ولا نقول: "نفي كمال الإيمان" لأنَّ الكمال هو فعل المستحبات، وإنما هو نفي الواجب.

➢ الراجح والصحيح من أقوال أهل العلم أن تارك الصلاة كافر، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[٤٢]، وقال -عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»[٤٣].

➢ من الأقوال الفاسدة عند المرجئة: لو ترك جنس العمل مُطلقًا ولم يُؤدِّه فإنَّه يثبت إسلامه ويثبت إيمانه.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس الثامن

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- الإيمان هو: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ هذه أركان الإيمان، وقد ذكرها النَّبي -صلى الله عليه وسلم- لمَّا سَأَلَه جِبريلُ -عليه السَّلام- عن الإيمان، فَأَجَابَه النَّبي -صلَّى الله عليه وسلم- بهذا، وهو ذكرُ أركان الإيمان السِّتَّة، فهذا هو الإيمان مِن جِهة مَا يُؤمن به العبد، فيؤمن بالله ربًّا وخالقًا، وإلهً معبودًا، ويؤمن بأسمائه

---

[٣٩] البخاري ومسلم
[٤٠] تقدم تخريجه في (4)
[٤١] صحيح البخاري
[٤٢] رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه
[٤٣] رواه مسلم

وصفاته، يُخلص له العبادة، ويتعلَّق به وحده لا شريك له، يَعبده ويَستعينُ به وَيَلجَأُ إليه،ولا يَعبدُ غَيرَه، ولا يَستعينُ بغيرِه، وَهَكَذَا سائر ما يتضمَّنه الإيمان بالله، فهو يتضمَّن الإيمان بالألوهيَّة والرُّبوبيَّة، والأسماء والصِّفاتِ، ويدخل في ذلك مَعانٍ عَظيمة كثيرة مذكورة في الكتاب والسنَّة.

- الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه؛ كل هذه أركان الإيمان السِّتَّة يجب على المؤمن أن يُؤمنَ بها، ومَن أنكرَ واحدًا منها فَقد كَفَرَ، وليس بمسلمٍ ولا بمؤمنٍ، فمَن كَّذَّبَ بالقدرِ أو كذَّبَ باليومِ الآخر وأنكرَ البَّعثَ بَعدَ الموتِ، أو كذَّبَ بالملائكة، أو كذَّبَ بالرُّسل، أو كذَّبَ بالكتب؛ فهذا كافرٌ بالله العظيم؛ فيجب على المؤمن أن يؤمن بهذه الأركان السِّتَّة على ما وُضِّحَ في كتاب الله، وفي سنَّة رسوله -صلى الله عليه وسلم.

- القدر: الأمور المُقدَّرة، وهي كل ما كَتَبَهُ اللهُ في اللوح المحفوظ ممَّا يجري على العبادِ، فكلُّ الأمور التي تجري على العباد مكتوبة مُقدَّرة، وقعت بمشيئة الله وخلقه، فهذه الأمور التي تقع للعباد:
  - منها ما هو خير بالنِّسبة لهم.
  - ومنها ما هو شرٌّ لهم.
  - ومنها ما هو حلوٌ بالنِّسبَةِ لهم.
  - ومنها ما هو مرٌّ بالنِّسبَةِ لهم؛ ولكن من جهة فعلِ الله-سبحانه وتعالى- وتقديره فالله -عزَّ وجلَّ- كلُّ أفعاله خير كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «**وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[٤٤].

- كلُّ ما يُقَدِّرُه الله -عزَّ وجلَّ- ويَقْضِيهُ فهو لحكمةٍ بالغةٍ، حتى لو كان فيه ضررٌ أو شَرٌّ على بعضِ النَّاس، فَمِن جِهَةِ فِعلِ الرَبِّ-سبحانه وتعالى- فَأفعَالُه كلها حِكْمَةٌ بالغةٌ، يفعل ما يشاء ويحكمُ ما يريد، لا مُعقِّبَ لحكمه ولا رادَّ لقضائه، فهو الذي يُدبِّر أمرَ الكون، وكل ما يفعله ربنا -سبحانه وتعالى- لحكمةٍ عظيمةٍ، حتى ما يقع للعباد من بعض الشُّرور، مثل خلق إبليس، ووجود الكفار وخلقهم، ونحو ذلك من الأمور التي هي شَرٌّ، وبيَّنَ القرآن وبيَّنت السُّنَّة أنَّها شرٌّ، فالشَّيطان شرٌّ، وإبليسُ شرٌّ، والكفارُ شرٌّ، ولكن الله -عزَّ وجلَّ- لحكمةٍ بالغةٍ قَضَى ذَلِكَ وَقَدَّره.

- مَن الذي فرَّقَ بين الرسل؟

الجواب: الكفار، مثل: اليهود والنَّصارى، فاليهود آمنوا بموسى -عليه السَّلام- وكفروا بعيسى وبمحمدٍ -عليهما الصَّلاة والسَّلام- والنَّصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمدٍ -عليه الصَّلاة والسَّلام- فهؤلاء كفَّار لأنَّهم كَذَّبُوا محمدًا -صلى الله عليه وسلم.

---

[٤٤] رواه مسلم في صحيحه (1296)

◆ لا يجوزُ لأحدٍ بعدَ مبعث النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- إلا أن يدخلَ في دينِ النَّبيّ -عليه الصَّلاة والسَّلام- فَمَن لَم يُؤمن بالنَّبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَهو كافرٌ، وَهُو ممَّن فرَّقَ بينَ اللهِ وَرُسُلِه، فآمنَ ببعضٍ وكفرَ ببعضٍ، فالإسلام نسخَ جميعَ الأديانِ، وَرَفَعَ حُكمُها، فلا يجوزُ التَّديُّن ولا التَّعبُّد بدينٍ غيرِ دينِ الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، وقال تعالى:﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: 19]، وقال النَّبي -صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[٤٥].

➢ إذَا بِلَغَتْ دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى أيِّ يهوديٍّ أو نصرانيٍّ فالواجب عليه أن يَدخُل فِي دِينِ محمدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّم- وأن يتعلَّم ويبحثَ عن الحقِّحتى يَدخلَ في دين الإسلام؛ لأنَّه هو الدِّينُ الحقُّ، وما سواه فهو باطلٌ.

➢ الأديان الموجودة التي وُرثت عن الأديانِ الصَّحيحة مُحرَّفة، فاليهود كانوا على دينٍ صحيح لما بُعثَ موسى، ثمَّ دخلَ هذا الدَّين التَّحريفُ والتَّبديلُ والتَّغييرُ، ثم بَعَثَ اللهُ عِيسى وكانوا على دينٍ حقّ، وعلى شريعةٍ حقَّة، ثم دخلَها التَّحريفُ والتَّبديلُ، ثم جاءت فَترةٌ مِنَ الرُّسل، ثم بعثَ الله محمدًا-صلى الله عليه وسلم- خاتَم الأنبياء والمرسلين على فترةٍ من الرُّسلِ، فوجبَ على جميعِ الخلقِ -جنّهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم- أن يدخلوا في دين محمد -صلى الله عليه وسلم- قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: 158].

◆ الدَّعوة إلى التَّقارب بين الأديانِ -أو الدَّعوة إلى وحدة الأديان- هذه مناقِضَة للإسلام، ومناقِضَة للقرآن، وهذه معاندة للرَّسول-صلى الله عليه وسلم- ومحادَّة لدين الله، فلا يجوزُ أن نقول: يتقارب المسلم مع الكافر في العقيدة، فالعقيدة الحقَّة هي التي في القرآن وفي السُّنَّة، فلا يجوزُ أن نتنازل عن شيءٍ منها حتى نقرب من الأديان الأخرى، فلسنا في شكٍّ -ولله الحمد- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 104].

◆ الدَّعوة إلى وحدةِ الأديانِ هذه أقبح وأخبث، ولها دعاتها ، ويريدون أن يكون دينًا واحدًا مخلوطًا، يأخذون شيئًا مِن الإسلام، وشيئًا من اليهوديَّة، وشيئًا من النَّصرانيَّة! وهؤلاء لا شكَّ أنَّهم كُفَّار وملاحدة ومُكذِّبون، فَهُمْ كَذَّبوا بالرُّسُلِ، وَكَذَّبُوا بمحمدٍ -صلى الله عليه وسلم.

---

[٤٥] مسلم (153)

- الله -عزَّ وجلَّ- بيَّنَ في القرآن أنَّه أخذَ على كل نبيٍّ الميثاق إن بُعثَ محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- وهو حي أن يتَّبع محمدًا -صلى الله عليه وسلم- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران: 81].

### ما هي الكبيرة؟

اختلفت عبارات السَّلفِ والعلماءِ في بيانِ معنى الكبيرة على أقوالٍ كثيرةٍ، فذكر العلماءُ مِن أصحابِ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- ومَن بعدهم في تعريفها عدَّة أمور، منها:

- ✓ أنَّ الكبيرة: ما رُتّبَ عليه غضبٌ أو لعنةٌ، أو نارٌ، أو تُبرّئَ من صاحبها، أو رُتّبَ عليه حدٌّ مِن الحدود في الدُّنيا.
- ✓ وقيل: ما رُتّبَ عليه وعيدٌ خاصٌّ، وهذا فيه توسُّع.
- ✓ وبعضهم قال: الكبائر سبع.
- ✓ وبعضهم قال: إلى السَّبعين أقرب منها إلى السَّبعِ.

◆ الصَّغيرة: هي كل ما عدا الكبيرة، وهي ما لم يثبت فيها وعيدٌ خاصٌّ من حدٍّ في الدُّنيا أو وعيدٍ في الآخرة.

### هل معنى هذا أنَّ المؤمن يتساهل في الصَّغائر؟

الجواب: لا، لا يجوز التَّساهل في الصَّغائر، فإنَّهنَّ كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث عبد الله بن مسعود: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ».

◆ يجب على المؤمن أن يَحذَرَ مِن الكبائرَ ومِنَ الصَّغائِرَ، «فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ»[٤٦] كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم.

### هل الإصرار على الصغيرة يُصيُّرها كبيرة؟

قال بعض العلماء: إنَّ الإصرارَ على الصَّغيرة يُصيُّرها كبيرة، ولكن الظَّاهر من الأدلَّة -والله تعالى أعلم- أنَّ الصَّغيرةَ تبقى صغيرة، والإصرار عليها ذنبٌ آخر، وتَكرار للذَّنبِ، لكن لا يرتفع حكم كونها صغيرة، بل تبقى صغيرة، فالإصرار عليها لا يُصيُّرها كبيرة، وإنَّما يزيد الإثم بالتَّكرارِ وبالبقاء على هذه الصغيرة.

◆ الواجب على المسلم أن يحذرَ مِن الإصرارِ على الذُّنوب، قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: 135].

---

[٤٦] البخاري (3708) ومسلم (1552)

- **هل المؤمن لا يرتكب كبيرة أو لا يُذنب؟**

لا نقول: إنَّ المؤمن من شأنه ألا يُذنب أو أنَّه لا يرتكب كبيرة؛ بل الذُّنوب تقع من المؤمن، قال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[47].

- التَّوبة: يندم، ويُقلع عن الذَّنب، ويعزم ألا يعود إليه، وإذا كان متعلِّقًا بحقٍّ يَردُّ الحقوقَ إلى أصحابها، مع الإخلاص والصِّدق في هذا. فهذه هي التَّوبة النَّصوح، ويعمل الأعمال الصَّالحة حتى تُكفَّر عنه الذُّنوب التي سلفت.

◆ يجب علينا أنْ نستغفرَ الله ونتوبَ إليه دائمًا، فإنَّنا نقع في الذُّنوبِ ونحن لا نشعر، نقع في ذنوبٍ خفيَّةٍ في القلبِ، فقد يقعُ في قلوبنا شيء مثل: قِلَّةُ التَّوكُّلِ، أو الجزَع، أو الطَّمع، أو قد يقع في قلبِ أحدٍ الحسدُ، أو يغل قلبُه على أحدٍ من المسلمين، أو لا يكون سليم الصَّدرِ تجاهه، أو يظنُّ ظنَّ السُّوء، فهذه ذنوب خفيَّة، وقد يغترُّ بعمله، وقد يُرائي وهو لا يشعر، والله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: 6].

- الجوارح أيضًا قد يقع منها ما قد يقع، كالضَّرب، والمشي إلى الشَّيء المحرَّم، أو الحركة باليد، حتى الجوالات -نسألُ الله أن يعوف عنَّا- والأشياء التي نطلبها ونبحث عنها، فالإنسان يُحاسِب نفسَه ويستغفر ربَّه، ويُجدِّد التَّوبة، والله يتوب على مَن يشاء.

- أهلَ الكبائر تحتَ مشيئة الله، ويدلُّ على هذا أحاديث الشَّفاعة، وهي كثيرة جدًّا، فجاءت الأحاديث عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يشفِّعه في قومٍ دخلوا النَّار، فيخرجهم الله -عزَّ وجلَّ- من النَّار بشفاعةِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- فيدخلون الجنَّة، وهذا يدلُّ على أنَّ أهل الكبائر منهم مَن يدخل النَّار.

- المخالفون من أهل البدع -الخوارج والمعتزلة- يقولون عن أهل الكبائر: إنَّهم مخلَّدون في النَّار. فيُسوُّون بينهم وبينَ الكفَّار، فحكمهم مثل حكم الكفَّار عند الخوارج والمعتزلة، وهذا ضلال عظيم، الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:35]، فكيف يُساوى بين الموحد وبين الكافر المجوسيوالمشرك الوثني، والنَّصراني المكذِّب للنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم؟!

- هناك قول فاسد للمرجئة، يقولون: يجوز أنَّ الله -عزَّوجلَّ- يُدخل جميع أفراد أمَّة محمد الجنَّة ولا يُدخلهم النَّار إطلاقًا، وذلك من قوله:﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:116]، فهذا دليلٌ على أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يجوز له أن يتجاوز عن جميعِ الأمَّة.

---

[47] رواه أحمد في المسند (12801) والترمذي في سنن (2436).

- المقصود أنَّ القول الحق: أنَّ أهلَ الكبائر المرتكبون للذُّنوب مِن أهلِ التَّوحيد مِن أهل الإسلام إذا ماتوا مِن غير توبة فإنَّهم تحت مشيئة الله، إن شاء الله عذَّبهم وإن شاء عفا عنهم، وإن عُذِّبوا فإنَّهم لا يُخلَّدونَ في النَّار؛ بل يكون مآلهم إلى الجنَّة.

- مَن مات على الشِّرك ولقيَ الله مشركًا،أو ماتَ على الكفرِ ولقيَ اللهَ كافرًا؛ فإنَّه خالدٌ مخلَّدٌ في النَّار ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: 72].

  - أهل السُّنَّة يعتقدون أنَّهم حتى لو عُذِّبَ مرتكب الكبيرة بالنَّار بسببِ كبيرته فإنَّه لا يُخلَّدُ في النَّارِ.

- الشَّافعين يوم القيامة أعظمهم محمد -صلى الله عليه وسلم- فهو الشَّافع المشفَّع في المحشَر، ثم الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- يشفَعُون، والصَّالحون مِن عباد الله يشفَعُون، والشُّهداء يشفَعُون، والملائكة يشفَعُون، والأفراط -جمع فَرَط وهو الذي مات دون البلوغ- يشفع لوالديه؛ فكل هؤلاء ثبت في النُّصوص أنَّهم يشفعون لمَن أذن الله -عزَّ وجلَّ.

- **والشَّفاعة لابدَّ فيها من شرطين:**
  - إذن الله للشَّافع أن يشفع.
  - رضا الله عن المشفوع له.

- لا يُمكن لأحد أن يتجرَّأ على الله وأن يبدأ بالشَّفاعة قبل أن يأذن الله له، ولا يمكن لأحد أن يشفع لأحد إلا وقد رضيَ الله قوله وعمله،﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[الأنبياء: 28]، وقول:﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: 255].

- **ما هي الأسباب لحصول الشَّفاعة؟**
  - التَّوحيد، قال -عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[48].
  - ومِن أسباب نيلِ شفاعة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم:اتِّباعه والإيمان به، والعمل بسنَّته، وكثرة الصَّلاة والسَّلام عليه، وإجابة المؤذن. فالأذان كلُّ كلماته توحيد، ثم الصَّلاة على النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وسؤال الله له الوسيلة، وغير ذلك ممَّا ورد.

- هناك أسباب لرفع العقوبة ومحوها عن المسلم، فالمسلم إذا رتكب الذُّنوب **هناك أسباب تمحو هذه الذُّنوب:**

---

[48] صحيح البخاري (98).

- ❑ **السَّبب الأوَّل:** وهو أعظم الأسباب: التَّوبة الماحية، التَّوبة الصَّادقة، التَّوبة النَّصوح.
- ❑ **السَّبب الثَّاني:** الاستغفار.
- ❑ **السَّبب الثَّالث:** الإكثار من الحسناتِ والأعمالِ الصَّالحات، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114]، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»[49]، هذه تمحو الذنوب عنك، فأكثر من العمل الصالح لو ارتكبت ذنبًا.
- ❑ **السَّبب الرَّابع:** المصائب المكفِّرة، فإذا أصيبَ المسلم بمصيبة فإنَّها تُكفِّر خطاياه كما قال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وذلك إذا صبرَ واحتسبَ.
- ❑ **السَّبب الخامس:** دعاء المؤمنين، إذا دعا المؤمن وقال: ربنا اغفر لنا ولإخواننا، وللمسلمين والمسلمات، اللهم اغفر لأخي...، وهكذا.
- ❑ **السَّبب السَّادس:** الصَّدقة عن الميّت، فإنَّها تنفعه كما أخبر النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم.
- ❑ **السَّبب السَّابع:** ما يصيب المؤمن مِن أهوال القبرِ، والأهوالِ التي تكونُ يوم القيامة، وضمَّة القبر، وفتنة القبر؛ كلُّ هذه مِن الأسباب التي يرفع الله بها أثرَ الذَّنب عن المؤمن إذا أصاب شيئًا.
- ❑ **السَّبب الثَّامن:** الشَّفاعة التي بيَّنها الله -عزَّ وجلَّ- في كتابه، وهي لا تكون إلا بإذنه ولِمَن رضي قوله وعمله.
- ❑ **السَّبب التَّاسع:** عفو أرحم الرَّاحمين، فالله -عزَّ وجلَّ- يعفو ويغفر، ولهذا قال:﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:116]، فنسألُ الله أن يغفر لنا ولجميع إخواننا المسلمين.

- ➢ المسلم في الدنيا حتى لو كان عاصيًا له أحكام ليست مثل أحكام الكافر، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ»[50]، فليس هو في الدُّنيا كالكفَّارِ حتى لو كان عاصيًا.

- ➢ الله ميَّزَ بين أهل الطاعة والمعصية، وأهل الكفر والإيمان، فليس المؤمنون كالكافرين، وليس المجرمون كالمجرمين﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:35]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الجاثية: 21]، وقال:﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[ص: 28].

- ➢ الموحدِّين المرتكبين للذُّنوب لا يُخلَّدون في النَّار، وهذا فيه ردٌّ على طوائف الخوارج والمعتزلة، فبعض الخوارج يقول: إن الله قال:﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: 116]، هذا في التَّائب.

---

[49] مسند أحمد (20882)، سنن الترمذي (1906)، وحسنه الألباني.
[50] صحيح البخاري (391).

❖ المؤمن يحرص على سلامة دينه، ويسأل الله الثَّبات، ولهذا قال: (اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ).

➢ اليوم ترون الضلالات والفتن والشُّبهات والشَّهوات تحيط بالإنسان، فهو بحاجة إلى تثبيت الله -عزَّ وجلَّ- حتى يلقى الله -عزَّ وجلَّ- على الإسلام «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، يعني: اثبتوا على الإسلام حتى إذا جاءكم الموت تموتون على الدِّينِ وعلى الإسلام.

➢ المؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، يخاف أن يُسلَبَ عنه الدِّينِ فيثبت عليه ويتمسَّك به، ويرجو فضل الله إذا ثبت على السُّنَّة وعلى طريقة الطائفة المنصورة الذين قال عنهم النبي -صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[٥١]، فهناك أناسٌ خالفوا من أهل البدع، وأهل الكفر، وأهل الشِّرك، وهناك مَن خذلوا.

➢ **نلخِّصَ الدَّرس في دقيقتين أو ثلاث دقائق باختصار شديد، فتقدَّم معنا:**

- ❖ تعريفُ الإيمان لغةً واصطلاحًا، وكذلك الأدلَّة عليه.
- ❖ دخول العمل في مسمَّى الإيمان.
- ❖ بيان مراتب الموحِّدين، أمَّا مراتب الدِّين لم نذكرها، وهي ثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان -كما في حديث جبريل.
- ❖ المراد بأهل القبلة.
- ❖ عدم خروج العصاة الموحِّدين من الإيمان، وعدم تخليدهم في النِّيران، وأنَّهم تحتَ المشيئة.
- ❖ تعريف الكبيرة، والفرق بينها وبين الصَّغيرة، وخطر الصَّغائر.
- ❖ أسباب رفع ومحو العقوبة عن الموحِّد.

## الدرس التاسع

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

➢ الإمام إِذَا صَلَّى بِنَا وَلو كان فَاجِرًا فإنَّ الصَّلاة خَلفَه تَصِحُّ إِذَا كَانَ مِن أَهلِ القِبلَةِ. لماذا؟

[٥١] مسلم (1920)

لأنَّ الصَّلاةَ عمل برٍّ وإحسان وطاعة، فإذا فعلها وُلَاةُ الأُمُور وَصَلُّوا بالنَّاسِ وأمَّوا النَّاس؛ فالصَّلاةُ خلفهم صحيحة ولو كان فِيهِم نَقصٌ أَو جَورٌ، وهذا دلَّت عليه السُّنَّةُ، ودلَّ عليه إجماع أهل السُّنَّة والجماعة، وإمامة الصَّلاة كانت مع إمامة الحكم، حيث إنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كان هو إمام المسلمين وكان يُصلِّي بالمسلمين، ثُمَّ أبو بكر الصِّدِّيق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان، ثم عَلي، ثم الحسنُ، ثم مُعاوية، وهكذا كان الأمر، فكان هَؤلاء هم الخُلفاء والحكَّام، ثم الملوك كانوا يصلُّون بالنَّاس، فالصَّلاة خلف إمامِ المُسلمين حقٌّ برًّا حتى لو قُدِّرَ أنَّ فيه فجور، مثل: بعض الملوك الذين فيهم مَعاصي وَفسقٍ أو ظُلمٍ، ولهذا ثبت عن عبد الله بن عمر وعن أنس بن مالك أنهم صلُّوا خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وهذا في صحيح البخاري، وفي صحيح البخاري أيضًا قال -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«يُصَلُّونَ لَكُمْ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»**[٥٢]، يعني: الخطأ عليهم وليس عليكم، فالنَّقصُ الذي فيهم والجور الذي فيهم والتَّقصير الذي فيهم لا ينالكم منه شيءٌ في صَلاتِكم وَعِبَادَتِكُم.

- أهل البدع هم الذين يتركون الجُمَع والجماعة؛ لأجل أنَّ الإمام فيه نقصٌ أو عيبٌ، بخلافِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة، فأهل السُّنَّةِ والجماعةِ يرون إقامة الجُمَع والجماعات والجهاد والأعياد والحج مع أمراء المسلمين، أبرارًا كانوا أو فجَّارًا، وهذه مسألة إجماع، ولهذا تجد بعض المفتونين من أهل البدع من الخوارج وغيرهم يعتزلون الجمعة والجماعة لنقصٍ في الإمام، أو لسوء ظنِّهم، أو لأنَّهم يَرَونَه عَلَى غَيرِ طريقتهم؛ فيعتزلون الجُمَعَ والجَمَاعات، وهذا ليس مَنهج أهلِ السُّنَّة والجماعة، ولا منهج الصَّحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم.

  - من لزوم جماعة المسلمين: أن تشهد الجُمَع والجماعات مع أُمَرَاءِ المُسلمين وأئمة المسلمين أبرارًا كانوا أو فُجَّارًا، إلَّا إذَا كانَ خَارجًا عَن الإسلامِ -نسألُ اللهَ العَافية والسَّلامة- مثل: مَن يُشرك بالله ويُعلن شركه ويسجد لغير الله، ويذبح لغير الله، ويطوف بالأضرحة، وَيَستَغِيثُ بالأمواتِ، فهذا لا تَصِحُّ الصَّلاةَ خَلفَه، وَلا تُقبَل الصَّلاةَ خَلفَه، ولا ينبغي أن يُقرَّ على الإمامة؛ بل يجب أن يُنصَح حتَّى يَتُوبَ إِلَى اللهِ -عَزَّ وجلَّ- وإن لم يَتُب ويعتدل فإنَّأمرَهُيُرفع إلى مَن عنده الشَّأنِ، وعنده القدرةِ عَلَى تعيينِ مَن هُو خَيرٌ مِنه.

- صلاة الجنازة على المُسلم إذا ماتَ ولو كانَ فَاسِقًا، ولو كان فَاجِرًا فإنَّنا نُصَلِّي عليه، فالمسلم له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، أمَّا إذا خرج عن الإسلام -نسأل الله العافية والسَّلامة- فإنَّه لا يُصلَّى عليه، لكن مسألة الرِّدَّة لا يَحكُمُ فيها الإنسان بِمُفْرَده، لابدَّ أن يرجع إلى أهل الاختصاص، فإنَّ كثيرًا من النَّاسِ يتعجَّل في هذه الأمور، وربَّما يقع في ورطات، وربَّما يخرج الإنسان مِنَ الملة وهو ليس كذلك، فلابدَّ من الرجوع إلى قواعد أهل السُّنَّة والجماعة، وإلى أهل العلم والبصيرة، أمَّا كلُّ أحد يحكم على الآخرين بِرَأيِه وَبِعَقلِه، فهذا وإن كانت نيَّته طيِّبة فهذا يكون فيه فتنٌ، ويكون فيه لغطٌ، وربَّما يقتتلون في المسجد بسبب مثل هذه الأحكام التي لم تصدر عن أهل العلم والبصيرة، وأهل الشَّأن.

---

[٥٢] البخاري (662)

- فالحُكمُ بالرِّدَّة أمرٌ خطيرٌ جدًّا، لا يجوز للإنسان أن يتعجَّل فيه، لابدَّ أن يكون فيه على بصيرة، وعلى رُجوعٍ لأهل العلمِ وأهلِ الفتوى وأهل القضاء؛ حتى يتبيَّن الأمر.

- أنَّ قاتل نفسه والمحاربين لله ولرسوله وَقُطَّاعِ الطُّرُق، والبُغَاة، والخوارج، وأصحاب الجنايات العظيمة؛ ذكر بعض الفقهاء -رحمة الله عليهم- أنَّه ينبغي لأهل العلم والفضل أن يتركوا الصَّلاةَ عليهم إذا ماتوا من باب زَجْرِ غَيرِهِم عَن فعلتهم، لكن لا تُترك الصَّلاة عليهم مُطلقًا، فيصلّي عليهم طائفة من المسلمين، ولا يجوز ألا يُصلَّى عليهم؛ لأنَّ هذه الأشياء التي ذَكرَت أمثلتها لم تخرجهم من الملَّة، فهم مسلمون ويُصلَّى عليهم، لكن ثبت في السنة أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- ترك الصلاة على قاتل نفسه، رجل قتل نفسه بمشاقص حزَّ بها يده حتى مات، فترك الصلاة عليه -صلى الله عليه وسلم- ولكن صلَّى عليه بعض الصحابة، وهكذا الذي كان عليه دينٌ وقد مات، فقال -صلى الله عليه وسلم: **«صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»**[٥٣]، وهذا يدلُّك على خَطَرِ الدَّيْن وشأنه في الدِّين.

- الصَّلاة على من مات من المسلمين من أهل القبلة من عقيدة أهل السنة والجماعة، ولذا لا نترك الصَّلاة عليه؛ لأنَّه مثلًا فاسق معروف بشرب الخمر، أو معروف بالرِّبا، نقول: نصلي حتى لو فعل هذه الموبقات، يُصلَّى عليه، ولا نترك الصَّلاة على المسلم ما دام مُسلمًا، فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

- القاتل ارتكب كبيرةً مِن أَعظَمِ كَبائِرِ الذُّنوبِ بَعدَ الشِّرك بالله، وتقدَّم ذكر الكبائر، وأنَّ القتل من أعظم الكبائر، وقد قال الله -عزَّ وجلَّ- في شأنه: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: 93]، وثبت في السُّنَّة الوعيد الشَّديد فيمَن يقتل مُسلمًا بغيرِ حقٍّ، ومع هذا فإنَّه قد أجمع أهلُ العلمِ وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ على أنَّ القَتلَ وإن كانَ جَريمةً عُظمَى إلَّا أنَّه لا يُخرج صاحبه مِن مِلَّة الإسلامِ.

- القادريَّة -وهي طريقة صُوفيَّة- فهم أهل بِدعٍ، وَمِنهم مَن هُو أهلُ غُلوٍّ وَشِركٍ واستغاثة بالأمواتِ، ودعاء للأولياءِ من دونِ الله، واعتقاد أنَّهم يعلمون الغيب، فمَن كان على هذه الطَّريقة فلا تصح الصلاة خلفَه، لأنَّه وقع في عقائد شركيَّة مخالفَة لأصل الدِّين، ومناقضة لِما في الكتاب والسُّنَّة ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل:65]، ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن:18]، وهم يدعون مع الله غيره، ويعتقدون أنَّه يعلم الغيب.

◆ الحكم بأنَّ هذا في الجنَّة وهذا في النَّار مِن قبيلِ الغيبِ، فالرجل مَهمَا بَلَغ مِن الصَّلاح، ومهما بلغ من التَّقوى، ومهما بلغ من الفضل؛ لا يجوز لنا أن نحكم بالأمور الغيبيَّة عليه أنَّه في الجنَّة، ولكن نرجوا له الجنَّة، ونُحسنُ الظَّنَّ بالله -عزَّ وجلَّ- أن يُكرمنا ويُكرمه بالجنَّة.

---

[٥٣] "صحيح البخاري" (2176) و"صحيح مسلم" (1619) من حديث أبي هريرة

- كذلك العكس، فمن ظهر منه الفجور والمعاصي والإصرار عليها حتى مات؛ فهذا لا يجوز لنا أن نحكم عليه بأنَّه في النَّار، فلا نحكم على أحد من المسلمين مهما عمل من المعاصي لا نحكم عليه بالنَّار، لأنَّنا ما ندري، لأن الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [النساء: 116]، فما لنا إلا الظَّاهر، والله يتولَّى السَّرائر.

- لكن مَن شهد له الكتاب والسنة بالجنَّة فنشهد له بالجنَّة، فالعشرة المبشرون بالجنة: " **أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ** "[٥٤]، هؤلاء العشرة شَهِدَ لَهُم النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- بالجنَّة، وغيرهم كذلك شَهِدَ لَهُم النَّبِي بالجنَّةِ، كأهلِ بَدرٍ، وكانوا ثلاث مائة وبضعة عشر، وكذلك مَن بايع تحت شجرة الرضوان، وكانوا ألفًا وخمسمائة، ومن الصحابة الذين شُهِدَ لهم بالجنَّة في الأحاديث: عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وبلال بن رباح [٥٥]، وثابت بن قيس بن شمَّاس، وأمهات المؤمنين كلهنَّ في الجنة (خديجة، وعائشة،...)، إلى آخره، وعبد الله بن سلام، وعكاشة بن محصن [٥٦]، وهناك آخرون.

- لا نَقُول عن شخصٍ إنَّه كافر، أو نقول عن شخص عنه إنَّه مُشركٌ، أو شخص نقول عنه إنَّه منافق؛ فهذا لا يجوز إلَّا إذَا ظَهَر منهم ما يدلُّ على هذا، كأن يظهر باللسان أو بالكتابة، أمَّا ما في قلوبهم -المقاصد والنِّيَّات- فلا نعلمها، هناك قرائن محتفَّة أحيانًا، فترى الرَّجل يميل إلى بعض مَن عُرفوا بالنِّفاق والعداء للإسلام، يميل إليهم، ويضحك معهم، وربَّما يجالسهم؛ فما تأتي تقول هو منافق إلا بشيءٍ صريح ظهر منه، ما يكفي الظَّن، وفي هذا الحديث المشهور لمَّا قال بعض الصَّحابة للنَّبي -صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إنَّنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: «**أليس يشهد أن لا إله إلا الله، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**»[٥٧].

- أهل السُّنَّة قاطبة، لا يعملون بالظُّنون، وإنّما يعملون بما أظهر الناس، فيحكمون عليهم بالظَّاهر، والله يتولى السَّرائر، مثلما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «**وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى**» وذلك في قوله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى**»[٥٨].

---

[٥٤] مسند أحمد (1608)

[٥٥] روى البخاري ( 1149 ) ، ومسلم ( 2458 ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ : ( يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ ) قَالَ: " مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي : أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا ، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ " .

[٥٦] البخاري (6175)قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأُمَّةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشَرَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قُلْتُ يَا جِبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي قَالَ لَا وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قَالَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ قُلْتُ وَلِمَ قَالَ كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ

[٥٧] البخاري (1119)

[٥٨] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

- هذا الأمر يدعوك أيُّها المسلم إلى أنَّك ما تتعجَّل في الحكم على الآخرين إلا بما ظهرَ وبما فيه بيّنة شرعيَّة، وهذا هو الذي أمرنا الله -عزَّ وجلَّ- به في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]، ومثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94].

- المقاصد والنيَّات لا يعلمها إلا الله -عزَّ وجلَّ- فالمسلم يجب أن يكون مُتحريًا للحقّ والعدل، وألَّا يحكم على النَّاس بالظُّنون والأهواء، وإنَّما يحكم عليهم بما ظهر منهم، وهذا معنى قوله: (وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ، وَلَا بِشِرْكٍ، وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).

- مسألة الشَّهادة للمعيَّن بالجنَّة إذا مات فقد تقدَّم الكلام فيها، **ولكن للسَّلف فيها ثلاثة أقوال:**
  - **القول الأول:** أنَّه لا يُشهَد إلا للأنبياء. وهذا منقول عن بعض المتقدمين، وهذا قول ضعيف.
  - **القول الثاني:** يُشهَدُ لمن شهدَ له الكتاب والسُّنَّة، وهذا هو قول أكثر أهل العلم، وهو الأقرب.
  - **القول الثالث:** يُشهد بالاستفاضة، فمَن استفاض عند أهلِ العلمِ والخيرِ والعدلِ والتَّقوى والصَّلاح أنَّه مِن أهلِ الفضلِ والخيرِ فيُشهَد له بالجنَّة، ومَن كان عكس ذلك فيُشهَد له بالنَّارِ. ولكن هذا القول فيه شيء لأنَّ الحجَّة التي اعتمدوا عليها حديث في البخاري أنَّه مُرَّ بجنازة على النبي -صلى الله عليه وسلم- فأثنوا عليها خيرًا فقال -عليه الصلاة والسلام: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ» ، فمرَّ بجنازة فأثنوا عليها شر، فقال: «وَجَبَتْ»، فلمَّا سألوه، قال: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»[٥٩].

- مَن كان خارج أهل القبلة، مثل النَّصارى واليهود والمجوس والملاحدة اللادينيُّون، هؤلاء يُحكم عليهم بالنَّار، فكل مَن بلغته دعوة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ولم يدخل في دين الإسلام فهو من الكفَّار وهو في النَّار، قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 24]، وقال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب 64 - 66]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة: 6]، فالله -عزَّ وجلَّ- حكم عليهم، فالشَّرط هنا أن تبلغه الدَّعوة.

---

[٥٩] أخرجه البخاري (1367)، ومسلم (949)

- مَن لم تبلغه الدَّعوة كأهلِ الفترةِ والهَرِمِ أو المجنونِ، أو الصَّبي الذي يموت دونَ البلوغِ ولم يبلغه الإسلام، أو مَن كان دون ذلك وهو الطِّفل؛ فهؤلاء أرجح الأقوال أنَّهم يُمتحنون يوم القيامة ويُختبرون، لكن في الظَّاهر أنَّهم مُلحقون بالكفَّار، فحكم في الظَّاهر أنَّهم يُدفنون في مقابر الكفّار ويُعامَلون معاملة الكفَّار، لا يرثون أهل الإسلام ولا يرثهم المسلمون، فيعاملون معاملة الكفَّار، صبيان الكفَّار، أو صبيان النَّصارى، أو الهَرِم من النَّصارى، أو المجنون من النَّصارى، أو اليهود، أو المجوس، ونحو ذلك.

- التَّارك لدينه هو: المرتد عن الإسلام والتارك له، فمن دخل في دين الإسلام ثم تركه وارتدَّ عنه فهو مرتد، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»**[٦٠]، والتَّارك لدِينه فارقَ الجماعة، فيكون المفارق للجماعة حينئذٍ وصفًا كاشفًا.

- الخوارج يُقاتَلون، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم: **«فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»**[٦١]، وهؤلاء الخوارج يجب قطعُ دابرهم وقتلهم، وإلا استفحلَ الشَّرُّ على المسلمين، لأنَّ حفظَ بيضةَ الإسلام، وحفظَ بلاد الإسلامِ لا يتمُّ هذا إلا بقطعِ دابرِ هؤلاء بقتلهم، فهؤلاء يستثنون.

- الخروج على ولاة أمور المسلمين باطل ومحرَّم، ولا يراه أحد من علماء أهل السُّنَّة إطلاقًا، فيعبرون بالسَّيف على الخروج.

- الخروج بالفعل يكون بحملِ السِّلاح وحملِ السَّيف، لأنَّ السَّيف سلاح، فكانت الأسلحة في ذلك الوقت كانت السُّيوف والرِّماح والسِّهام، والآن الأسلحة تختلف، فحملُ السَّلاح هو سلٌّ للسَّيفِ على أمَّةِ محمد -صلى الله عليه وسلم- فإذا حملَ السِّلاحَ فإنَّه يَقتل بَرَّها وفاجرها، ولا يفي لذي عهدٍ بعهده؛ فهو يرى السَّيف على أمَّة محمد، ولهذا فإنَّ هؤلاء هم الخوارج ومَن شابههم.

- الخروج بالفعل بحمل السلاح يسبقه خروج قولي، وخروج فكري، وخروج عَقدي؛ بأن ينشر الآراء الفاسدة التي تتضمَّن تغيير عقيدة المسلم، فيأتي عندك وأنت سليم الصَّدر تجاه المسلمين، وقلبك فيه المحبَّة للمسلمين عامَّتهم رعاةً ورعيَّةً، وتودُّ لهم الخير؛ فيأتيك ويقول لك: هذا فعل كذا، هذا قال كذا، هذه المسألة كذا وكذا...؛ حتى يجعلك تقتنع بآرائك افلاسدة، فحينئذٍ يصبح في قلبك غل على المسلمين، وبعد ذلك ينقلك إلى المرحلة الثَّانية وهي حمل السِّلاح.

---

[٦٠] صحيح البخاري (6439).
[٦١] أخرجه البخاري (6930)، ومسلم (1066).

- التَّحريض والفتوى بغير حقٍّ كلها يعدُّ من الخروج القولي الذي يسبق الخروج الفعلي، فما خرجت طائفة على ذي سلطانٍ تقاتله إلا قبلَ خروجها كان هناك تهييجٌ وتحريضٌ، وكان هناك آراء فاسدة؛ حتى حملَت هؤلاء على القتال -نسأل الله العافية والسَّلامة- فلا نرى الخروج على ولاة أمور المسلمين.

- الخوارج عندهم شبهات أخرى، فهم يرون السَّيف على أمَّةِ محمد -صلى الله عليه وسلم- ويأتون بشبهاتٍ يغرون بها السُّذَّج، مثل شبهة "التَّترُّس"، يقولون: نقتل العسكري المسلم أو الجندي المسلم، لأنَّ العدو تترَّس به.

- التَّترُّس مسألة قديمة وقعت لمَّا كان جيش الكفَّار يأخذ بعضَ الأُسَارى ويربطهم في مقدِّمة السَّفينة أو في مقدِّمة الجيش حتى لا يرمي المسلمون عليهم شيئًا، لأنَّ الأسارى مربوطون في مقدِّمة جيش الكفَّار، فيتحرَّج بعض جنود المسلمين مِن رمي السَّلاح على الكفَّار لئلا يصيب إخوانهم الأسارى، فالكفار اتَّخذوا بعضَ المسلمين تُرسًا يحمون به أنفسهم.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس العاشر

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- الخروج: مُصطلح شَرعي وَرَدَ فِي سُنَّةِ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- للتحذير ممَّن يخرج على المسلمين، وقد ذكر النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- التَّحذير مِنَ البِدَعِ إجمالًا، والتَّحذير من أهل البدع إجمالًا؛ لكن على وجه الخصوص ذَكَرَ طائفة الخوارج، ووصفهم بالخروج في أحاديث كثيرة، منها قوله -صلى الله عليه وسلم: **«يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ»**[٦٢]، فقوله: **«يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ»**، وأوَّل مَن خرجَ على المسلمين وسَلَّ السَّيف هم الخارجون على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وكفَّروه واستحلُّوا قتاله وقتال الصَّحابة والمسلمين، فهؤلاء هُم أوَّل الخوارج خُروجًا، ثمَّ تبعهم أقوام، ولا يزالون إلى قيام السَّاعة كما حذَّر النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- مِن هَذه الطَّائفة.

- الخروج: معناه: التَّمرُّد والعِصيان، وعدم الانسياق لأَمْرِ وَلِيِ الأمر، وأن يَرى الإنسانُ أن لا بَيعةً له، أي: لوليِّ الأمر، وأنَّه لا يَسمع ولا يُطيع له؛ بل يَرى أشدَّ من ذلك، وهو أنَّ ولي الأمر هذا كافر، ويستحلُ دمَهُ وقتالَه. هذا هو الخروج الفعلي.

- **الخروج نوعان:**

---

[٦٢] البخاري (6931) ومسلم (1064) عن أبي سعيد الخدري.

- **خروج قولي:** ويكون قبل الخروج الفعلي؛ لأنَّه مَا خرجت طائفة إلا وقد كان لها تهيئة بالأفكار السِّيئة وبالعقائد الباطلة، وبالتَّحريض وإيغار الصُّدور، حتى خرجوا على جَمَاعةِ المسلمين وإمامهم، ولذا يجب الحذر مِن مَبَادِئِ الخُروجِ وَمَبَادِئِ الفتن، فإنَّها تكون أوَّل الأمر في صورة خلافٍ وفي صورة نزاعٍ، وفي صورة آراءٍ.
- **خروج فعلي:** أن تكبر هذه الآراء وتنمو، وينفخ فيها الشَّيطان، وشيطان الإنس أيضًا ينفخ فيها حتى يَسُلُّون السَّيف، ويخرجون على الأمَّة، ويَستَحِلُّون الدِّماء.

**ما هي عاقبة الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه؟**

قال فيهم النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم: **«شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»**[٦٣]، هذه عاقبتهم، قُتِلُوا وقُطِعَ دابرهم، وصاروا شرَّ قتلى، مع أنهم في ظاهر الأمر يُريدون الجهاد، ويريدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون نصرة الدين ونُصرَة الحق.

- الأئمة: هم وُلاة الأمور، يُسمَّى: "إمامًا" أويُسمَّى: "ولي الأمر"، أويُسمَّى: "رئيسًا"، أو يُسمَّى: "مَلِكًا"، أو يُسمَّى: "خليفةً"، أو يُسمَّى :"السُّلطان"، أو يُسمَّى: "الحاكم"، أو غير ذلك من المسمَّيات، فالمقصود أنَّ هذه الإمامة حُكمٌ شَرعيٌّ وقدريٌّ؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- هو الذي يُؤتي الملك مَن يَشاء، وَيَنْزِع الملك ممَّن يشاء.

- واجب من واجبات الدِّين أن يجتمع المسلمون، وإلا صارت فوضى، ذهب ريحهم، وذهبت قوَّتهم بالفوضى والافتراق، فوجود الإمام رحمة من الله -سبحانه وتعالى- وظلٌّ للعباد، فهو حُكمٌ شَرعيٌ وَحُكمٌ قدريٌ.

- **فهذا الإمام -أو السُّلطان- يَصِحُّ بثلاثةِ أشياءٍ عِندَ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ:**
  - **الأول:** اختيار أهل الحل والعقد: أن يجتمع أهلُ الحل والعقد ويختاروا شخصًا، فإذا اجتمعوا عليه -وهم أهل الشَّوكة والغَلَبة- تمَّ الأمر له، فصار خليفة -أو إمامًا، أو حاكمًا، أو سلطانًا- الأسماء ما تهم، فالمقصود واحد.
  - **الثاني:** ولاية العهد: أن يَلِيَ بالعهدِ إلى مَن يختاره ولي الأمر، ثم إذا تُوفِّيَ الحاكمُ تمَّت البَيعة لوليِّ العهد.
  - **الثالثة:** أن تكون بالغلبة والقهر: فإذا غلبَ النَّاسَ وتغلَّب عليهم، وصارت له الشَّوكة عليهم؛ فهذا يكون إمامًا.

- المعدوم فليس بإمام، والغائب فليس بإمام، والمختفي أيضًا ليس بإمام، فالإمام إنَّما يكون معه الشَّوكة والغَلَبَة، وبه تتمُّ المصالح ويقوم شؤون الدين والدنيا. هذا هو الإمام.

- "الأئمة مُجمِعُونَ من كلِّ مذهب على أنَّ مَن تغلَّبَ على بلدٍ أو بلدان؛ له حُكمُ الإمامِ في جميع الأشياء".

---

[٦٣] أخرجه الترمذي (3000) واللفظ له، وأحمد (22262) وصححه الترمذي في صحيح الترمذي.

ولولا هذا ما استقامت الدُّنيا؛ لأنَّ الناس مُنذُ زَمنٍ طويلٍ قَبلَ الإمامِ أَحمد إلى يومنا هَذا ما اجتمعوا على إمامٍ واحدٍ، ولا يعرفون أنَّ أحدًا مِن العلماء ذكر أنَّ شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم"، يقصد: أنَّ كل الدول الإسلامية كانت دولةً واحدة في عهد النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- وفي عهد أبي بكرٍ وعمرٍ وعثمانٍ، ثُمَّ حدثت الفُرقة، ثم اجتمعوا في عهدِ الحَسَنِ أو مُعاوية -رضي الله عنهما- ثم دولة "أُميَّة" كانت تحت إمامٍ واحدٍ، ثم لمَّا زالت دولة "بني أميَّة" كانت الدولة العباسيَّة، وهنا فرع للدولة الأمويَّة في الأندلس؛ فصار تعدد الدول منذ عهد قديم.

- الإمام الذي يُسمَع له ويُطاع، ولا يجوز الخروج عليه، هو: الإمام الظَّاهر، والإمام الذي له الشَّوكة والغَلَبة الذي اجتمع عليه النَّاس، وليس رُؤساء العِصَابات والتَّنظيمات الذي يفرُّونَ من هنا وهناك ويختفون عن النَّاسِ، أو المعدومين، فهؤلاء ليسوا أئمَّة، ولا يصحُّ لهم حكم الإمامَة والولاية، فهذا نردُّ به على الدَّواعش وأمثالهم الذين يعقدون البَيعةَ للمختفي والهارب والذي لا شوكة له، فهؤلاء فتنوا النَّاس وآذوا المسلمين، فيجب الحذر مِنهم؛ لأنَّهم على طريقة الخوارج -نسألُ الله جل وعلا أن يَهدي ضالَّ المسلمين، وأن يحفظ المسلمين من شرور هؤلاء الأشرار.

- قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:59]، أولوا الأمر هنا هم الأمراء، ثُمَّ العُلماء، فالأمراء هم ولاة الأمر؛ لأنَّهم يَلونَ أُمور المسلمين كلَّها في جميع شؤون الحياة، في الحدودِ وإقامتها، في العدلِ بين النَّاس، في حفظِ المصالحِ، في تأمينِ السُّبلِ، في بثِّ الأمنِ، في إقامةِ الجُمَعِ والجماعاتِ والأعيادِ والحجِّ، وحمايةِ الحدودِ، والدِّفاعِ عن الحُرُماتِ، إلى غير ذلك من المصالح.

- العلماء يُطاعون في الفتوى وفي أمور الدِّين، أمَّا في الأمور الأخرى فالعالم ما له سلطان عليك في أمورك الأخرى، فالعالم يُفتيكَ فقط ولا يُلزمك، حتى الفتوى غير مُلزمة، القاضي هو الذي له حق الإلزام، والقاضي إنَّما صارَ قاضيًا بتنصيبِ الإمام له، فانتبه لهذه المسائل المهمَّة ولا تغلط فيها.

- لم يُعبِّر الشَّرع بكلمة "الثَّورة" فلم يقل: "ثوروا عليهم"، فـ "الثورة" مُصطلح غَير شرعي، وإنَّما التَّعبيرات الواردة والألفاظ الواردة علينا أن نلتزم بها؛ لأنَّ مَن التزم بألفاظ الشَّرع سَلِم.

- هذه الثَّورات فهي جاهليَّة، وليس هناك لفظ شرعي يقول: تظاهروا عليه، أو ظاهروه، أو اخرجوا في الشَّوارع؛ لا.

- إذا قُدِّرَ أنْ وقعَ الحاكم في أمرٍ محرَّم شرعًا عليه؛ فإنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- علَّمنا كيف نفعل، ونحن لا مناصَ لنا ولا محيدَ عن توجيهاتِ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- ونحن نُعرض عن أهلِ الأهواءِ، وأهلِ الآراء، أو المُقلِّدَة للغربِ والشَّرقِ، أو المقلّدة للفتِن، نُعرض عنهم، ونتبعُ كلام النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- حتى تخرج أرواحنا ونحن على السُّنَّة، نسألُ الله أن يثبتنا وإيَّاكم وإخواننا المسلمين على السُّنَّة.

◆ الدُّعاء للحاكم مِن النَّصيحة، لقول النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، وذكر من حقوق النَّصيحة قال: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِه، وَلِرَسُولِه، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»[٦٤]، فالدُّعاء لهم بالهداية والصَّلاح مِن علامةِ الخيرِ، وهذا من النَّصيحة لهم، ومِن أسباب اجتماعِ كلمةِ المسلمين، ومن أسباب تأليفِ القلوب، أمَّا الدُّعاء عليهم فهذا خروج عن الصِّراط، وهو تأليبٌ وزيادةٌ في الشَّرِّ، ولا يُحصِّلُ المسلم بهذا الدُّعاء خيرًا؛ بل هذا من أسباب الخروج، ومِن أسبابِ الفتن -نسأل الله العافية والسَّلامة.

- علينا الاجتهاد في الاستغفار والتَّوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: 30]، حتى الحاكم الجائر يُعتبَر مصيبة، إذا جار عليك أو ظلمك فأنت تلجأ إلى الله وتُنيب وتستغفر وتدعو الله -عزَّوجلَّ- أن يُفرِّج عنك وعن المسلمين، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: 129]، معناها:أنَّ ما تولَّى هذا الظَّالم على هؤلاء إلا لوجود الظُّلم فيهم.

◆ فالخروج على ولاةِ الأمورِ إذا جاوزا هذا مِن المنكرات العظيمة، ومن ركوب مذهب الخوارج.

- على كلِّ حال؛ فالخروج -كما تقدَّم- على ولاة الأمر وعلى المسلمين إذا نظرتم في عاقبته اتَّضح لكم أنَّه باطلٌ، فانظر إلى كل مَن خرجَ على المسلمين في كلِّ مكانٍ، ماذا حدث منهم؟
حدث سفكُ الدِّماءِ، والإفسادُ في الأرض، وإزاحةُ الأمن عن النَّاسِ، وتعطيلُ المساجد، وتعطيلُ الخيرات -نعوذ بالله.

- الخروجُ يكونُ بالرَّأي قبل أن يكونَ بالفعلِ، والنَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- قال للصَّحابة لمَّا استأذنوه وقالوا: "أفلا ننابذهم؟"، "أفلا ننازعهم؟". قال: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[٦٥]، فهذا نصٌّ صريح، فكيف نعاند النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم.

- النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا»، والفسقُ ليس كفرًا، فالفسقُ دونَ الكفرِ، وهو أفصح مَن نَطَقَ بالضَّادِ -صلى الله عليه وسلم- وهو أفصحُ العرب وأنصحهم وأبينهم وأبلغهم -صلوات الله وسلامه عليه- وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم كما وصفه الله في سورة التَّوبة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128]، وهو القائل -صلى الله عليه وسلم: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[٦٦]، وهذا في صحيح مسلم، وهو لا يأمر بالشَّرِّ، وإنَّما يأمر بالخير الغالب، وإن حصلَ بعض الأضرار، لكن الخير في السَّمع والطَّاعة في غير معصية.

---

[٦٤] صحيح مسلم (85).
[٦٥] سبق تخريجه رقم (8).
[٦٦] صحيح مسلم (3441).

- بعض الحكام كان فيه بدع، وبعضهم كان يؤيِّد أهل وحدة الوجود، وبعضهم عنده ضلالات كثيرة؛ فبعض هؤلاء الحكَّام في القرن الثَّامن والتَّاسع كانت لهم تلك الضَّلالات؛ فهل هؤلاء العلماء الذين سمَّيتهم -وهم مشهود لهم بالإمامة- هل ألَّفوا في التَّحريض على ولاة الأمور؟ هل ألَّفوا في وجوب الخروج على الحاكم فلان بن فلان؟

النَّظر في سِيَرِ العلماءِ الصَّادقين المشهود لهم بالإمامة يدلُّك يا طالبَ العلمِ على الطَّريقة التي سَلَكَها هؤلاء، وهم قد شَهِدَ لهم القاصي والدَّاني بالإمامة والتَّقوى والصِّدق والدِّيانة، وأنَّهم ليسوا أهل تزلُّف ولا مُداهنة، فرَضِيَ الله عنهم وأرضاهم، ونسألُ الله -جلَّ وعَلا- أن يجعلنا وإيَّاكم على طريقتهم.

- نتَّبِعَ السُّنَّةَ ونترك البدعة، ونتمسَّك بالجماعة، فالمراد بالجماعة: جماعة المسلمين، فنجتمع مع المسلمين، ونكون مع ولاة الأمور في السَّمع والطَّاعة في غير معصية الله -عزَّ وجلَّ- ونلزم الحق، ونلزم طريقة أهل السُّنَّة من الصَّحابة والتَّابعين، فهذه هي الجماعة.

إذن الجماعة يُراد بها: جماعة السُّلطان، وبعض العلماء يُعبِّر عنها بـ "جماعة الأبدان" فنسمع ونطيع في غير المعصية، ونكون مع الجماعة، فنشهد الجُمَع والجماعات، ونسمع ونُطيع لوليِّ الأمر، ولا نخرج على وليِّ الأمر؛ فهذا لزوم الجماعة والإمام.

  - من لزوم الجماعة: أن توافقَ الحقَّ، وهو ما كانت عليه الطَّائفة المنصورة، فتوافق ما كان عليه النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- فكل ما كان من الحقِّ فهو الجماعة، فما وافقَ الحقَّ فهو الجماعة، وهذه تسمَّى جماعة الدِّين، فتلتزم الدِّين الحقَّ، وتلتزم المنهج الحقَّ، منهجَ الصَّحابةِ والتَّابعين.

- الجماعة يُراد بها:

فجماعة الأبدان: السَّمع والطَّاعة لَمن ولَّاه الله أمر المسلمين، وعدم الخروج عليه، وعدم مشاقَّته، وشقِّ العصا، والتَّمرُّد عليه ونحو ذلك.

وجماعة الدِّين: أن تلزمَ الحقَّ، وطريقةَ الصَّحابة لهذه الطَّائفة التي قال فيها النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم: **«لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»**[٦٧]، وفي لفظ آخر قال: **«هم الجماعة»**.

- لو قُدِّرَ أنَّ السُّلطان على بدعةٍ، فنحن نلزمُ الجماعة بالسَّمعِ والطَّاعة في غير معصيةٍ، ولا نوافقه على بدعته؛ بل نتَّبع الجماعة فيما كان عليه النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم.

- لو قُدِّرَ أنَّ شخصًا في بلد غير مسلم، كالبلاد التي فيها أقليَّات مسلمة، كيف يكون لزوم الجماعة؟

---

[٦٧] صحيح البخاري (3392)، صحيح مسلم (3551).

لزومُ الجماعة بأن يلزمَ المنهجَ الحق، منهج أهل السُّنَّة والجماعة والطَّائفة المنصورة، وأمَّا السُّلطان في بلده فليس بمسلمٍ، فلزومُ الجماعة في حقِّه بلزومِ منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

- أمَّا إذا كان في بلدٍ مسلمٍ له حاكم مسلم فيلزم الجماعة بالسَّمعِ والطَّاعة للحاكم -وهذه جماعة الأبدان أو السُّلطان- ويلزم الحقَّ -وهو جماعة الدِّين- فيلتزم طريقة أهل السُّنَّة والجماعة الذين ساروا على منهج السَّلف الصَّالح.

- مَن شذَّ شذَّ في النَّار، والشُّذوذ دائمًا دليل على الضَّلال، فلا تشذَّ عن جماعة الحقِّ، ولا تشذَّ عن أهل السُّنَّة والجماعة، ولا تشذَّ عن منهج أهل السُّنَّة كالخرافيين وأهل البدع، وأهل العقائدِ الفاسدةِ؛ فهذا شُذوذٌ وخروجٌ عن منهجِالنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- والصَّحابة.

- في مسائلِ الفقهِ لا تَشُذَّ، وتبحث عن الشَّاذِّ الذي لا دليلَ عليه ولا حُجَّة له، فبعض النَّاسِ يبحث عن الأشياء الشَّاذَّة ويتتبَّع الرُّخَصَ من غيرِ دليلٍ ولا حُجَّةٍ، فهذا ضلالٌ، مَن شذَّ شذَّ في النَّار، ومع الأسفِ بعضُ الإعلاميين يبحث عن الشُّذَّاذ ويجمعهم ويخرجهم في القنوات، لأنَّ الشُّذَّاذ هؤلاء يُعجبونهم، ولو كان ليس معه دراسة ولم يتلقى العلم، فبعضهم معه شهادة ضعيفة، ولم يُكمل حتى المتوسط أو الثانوي؛ فيقدمونه في الإعلام لأنَّه أخذ بقولٍ يعجب هواهم، فأنت أيُّها المسلم تحذر من هؤلاء الشُّذَّاذ.

- **فالخلاف نوعان:**
  - **النَّوعُ الأوَّلُ:** خلافٌ في العقيدة، وهو خروجٌ عن منهجِ أهل السُّنَّة، وهذا محذور.
  - **النَّوعُ الثَّاني:** خلافٌ غير السَّائغ الذي لا دليل عليه.

- الخلاف السَّائغ: فهو الخلاف النَّابع عن اجتهادٍ في فَهم النَّصِّ فهذا يقع بين العلماء، فهذا يرى القول الفلاني، وهذا يرى غيره، وهذا قد يكون بعدم ثبوت النَّصِّ، أو الخلاف في ثبوته، أو عدم فهمه، أو عدم بلوغه النَّاسخ أو نحو ذلك؛ فهذا الخلاف يُرفع به الملام عن الأئمة.

  - الصَّواب أنَّه ليس كلُّ خلافٍ يُعذر فيه، فمَن يُخالف الدِّين الإسلامي ولم يُسلِم، أو مَن خالف منهج أهل السُّنَّة فهذا ليس بمعذور!

  - يجب على المؤمن اتِّباع القرآن والسُّنَّة ولزوم الحق، لكن الذي يُعذَر ما كان خلافه سائغ، وما كان محلَّ اجتهادٍ في فهمِ النَّصِّ، أو في ثبوت النَّصِّ، وكما قال العلماء: "لا تَقُل في مَسأَلَةٍ ليسَ لَكَ فِيهَا إمامٌ مِن أئمَّةِ المسلِمينَ". فلا تبتدع وتَشُذَّ عنهم، فالذي يتَّبع الهوى ويُخالف منهج أهل السُّنَّة، ويُخالِف الوحي، ويُخالِف القرآن، ويُخالِف الحديثَ الصَّحيحَ؛ هذا لا حجَّة له، وغيرُ معذور، والمعذور هو الذي له دليله واجتهاده وغَلِطَ، أو أخذ بهذا الاجتهاد وهو قريب وقد سُبِقَ.

- من الشُّذوذ: ترك الجمعة والجماعة مع المسلمين، فبعض النَّاس يترك الصَّلاة مع المسلمين ويصلِّي وحده، فهذا أيضًا من الشُّذوذ -نسأل الله العافية والسَّلامة.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس الحادى عشر

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- من لوازم الإيمان: أن يُحبَّ في الله، وأن يُبغَضَ في اللهِ، أمَّا لو كان يُحبُّ أعداء الله، ويُبغض من يُحبهم الله؛ فهذا ليس بمؤمن، فإنَّ المؤمن يُحبُّ في الله ويُبغضُ في اللهِ؛ لأنَّ هَذا مِن آثارِ الإيمانِ بالله -عَزَّ وَجَلَّ- فإذا آمنتَ وأسلمتَ وقمتَ بأمور الإسلام، وقمتَ بأمور الإيمان؛ فكل مَن قام بهذه الأمور أحببته؛ لأنَّ هذا ممَّا يحبه خالقنا ومعبودنا وربنا وإلهنا، وهو الله -سبحانه وتعالى.

وكل مَن تَرَكَ الإسلام، وترك الطَّاعات، وقام بالفجور والعِصيانِ والكُفرِ والفُسُوق؛ نبغضه لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يُبغِضُ هَؤلاء.

وهناك مَن يجمتع فيه الأمران: يُحَبُّ مِن وَجه ويُبغَضُ مِن وَجهٍ.

**فصار النَّاسُ ثلاثة أقسام:**

- **القسم الأول:** مَن يُحَبُّ محبَّةً كاملةً: وهم الأنبياء والرُّسل وعباد الله المؤمنون الصَّالحون من الصَّحابة والتَّابعين، وأشباه ذلك.
- **القسم الثاني:** مَن يُبغض من كل وجه: وهم الشَّياطين، والكفَّار من اليهود والنَّصارى والمجوس والمشركين، والملاحدة، والمنافقين؛ فهؤلاء يُبغَضُونَ مِن كُلِّ وَجهٍ.
- **القسم الثالث:** مَن يُحَبُّونَ مِن وَجهٍ ويُبغَضُونَ مِن وَجهٍ: وهو المسلم الذي فَعَلَ المَعَاصِي، فيُحبُّ مِن جِهَةِ إسلامِه، ويُبغضُ مِن جِهة مَا فَعَلَه مِنَ المعَاصِي.

- فالحبُّ في اللهِ مِن علامةِ الإيمانِ ومن دليل الإيمان، فلابُدَّ منه، هذا مِن عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، أي: المحبَّة. وقال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، وأخبر أنَّه يُحبُّ المتَّقينَ، فنحن نُحبُّ مَن أحبَّه الله.

والله -عزَّ وجلَّ- لا يُحِبُّ الخائنين، ولا يُحب المفسدين، ولا المستكبرين، فنحن لا نحبُّهم؛ لأنَّ الله لا يحبهم.

- حُبُّ المؤمنين والصَّالحين والمتَّقين إذا لم يُوجد في قَلبِ المُسلِمِ دَلَّ هَذا على ضعفِ إسلامِه، وإذا وُجِدَ في قلبه حُبُّ الفُسَّاقِ الذين يَشربون الخُمُورَ ويزنون ويَسرقون ويأكلون الرِّبا ويعصون الله ورسوله؛ دَلَّ هَذا على ضعفِ إيمانِه. فالحبُّ لَيسَ لأجلِ الدُّنيا كما يصنع كثيرٌ مِنَ النَّاس، إذا حصَّل أمورًا دنيويَّة أحبَّ هذا

الشَّخص، وإذا لم يُحَصِّل أبغَضَه، كما قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما: "وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا "[٦٨]، وقال ابن مسعود: "مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ: فَقَدْ تَوَسَّطَ الْإِيمَانَ"[٦٩]

ولهذا فإنَّ أوثق عرى الإيمان: الحبُّ في اللهِوالبغضُ في الله؛ فيجب على أهل الإيمان أن يكونوا هكذا.

- أمَّا المشركون فإنَّهم يُحبون مُعبداتهم، يُحبُّون غيرَ الله -عزَّ وجلَّ- أعظم مِن حُبِّ اللهِ، كما قال الله تعالى في سورة البقرة:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِۖوَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:165]، فهؤلاء الكفار اتَّخذوا هذه الأصنام وهذه المعبودات وأصحاب القبور، أو الجن، أو مَن يستغيثون بهم؛ اتَّخذوهمأندادًا مع الله، ثمَّ أحبُّوهم كحبِّ الله، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ فهذا الحب حبٌّ شريكيٌّ؛ لأنَّهم عبدوهم، وصرفوا لهم خالص الحق الذي هو لله.

### ماذا يحدث يوم القيامة؟

- ولا يجوز الجَور والظُّلم، لا في بيتك، ولا في مدرستك، ولا في أي مكان، وإذا كنت قاضيًا أو حاكمًا لا يجوز لك أن تظلم، ويجب أن تكون مِن أهلِ الأَمانَةِ؛ فتحفظ الأمانة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:58]، فإذا قمت بالأمانات يُحبك المؤمنون، فتكون أهلاً لأن تُحَبَّ في اللهِ، وإذا خُنتَ الأمانةَ سَقَطَتْ عَدَالَتُك، وَوَجَبَ بُغضك لوجود الخيانة -نسأل الله العافية والسَّلامة.

- الواجب على المؤمن أن يَردَّ الأمرَ إلى اللهِ -سبحانه وتعالى- وألَّا يَتَكَلَّمَ بغيرِ عِلمٍ، فَمِن أعظمِ المحرَّمات: القول على الله بغير علم.
  - والقول على الله بغير علم يدخل فيه أُمور مُتعددة، مثل: الكلام في أسماء الله وصفاته بالباطل، كالذي يُنكرها، أو يسمي الله بما لم يُسمِّ به نفسه، أو يحرفها، أو غير ذلك.
  - ومن القول على الله بغير علم: الكلام في الغيب، بأن يُنكر بعض الغيبيات التي جاءت في الكتاب والسنَّة.
  - ومن الكلام على الله بغير علم: الدخول فيما اشتبه وما أخفى الله علينا عِلمه، فالذي أخفاه الله -عزَّ وجلَّ- علينا لا يجوز لنا أن نتكلم فيه بغير علم، وبغير دليل، وبغير برهان، وبغير وحي؛ فيجب أن نسكت ونقول: الله أعلم.

- كان السَّلف الصَّالح من الصَّحابة -رضي الله عنهم- لا يَستعجلون في الفتوى، ولا يُفتون بغير عِلمٍ؛ بل كانوا يتدافعون الفتوى، كلٌّ يردَّها إلى غَيرِهِ لَعَلَّه أعلم ولَعَلَّه أتقن، وهذا الأمر العظيم يخفى على بعض النَّاسِ فيستعجلُ ويُريد أن يُفتي ويتسابق إلى الفتوى، ما يَدري أنَّها خَطيرة جدًّا، ولهذا قال بعضهم: "أجرأكم على الفتوى أجرأكم على النار"، فلا تتجرأ على الفتوى بغير علم، فالإفتاء خطير.

---

[٦٨] خَرَّجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ عن ابن عباس.
[٦٩] خَرَّجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّعَن ابْنِ مَسْعُودٍ.

ابن مسعود -رضي الله عنه- جاءه قوم يَستَفتُونَه في امرأة مَاتَ عَنها زوجُها قبل الدُّخول. ماذا علها وما حُكمُها؟

جلس ابن مَسعود شَهرًا كاملًا يقول: أنظروني حتى أنظر في المسألة!

ثم أفتى في هذه المسألة بأنَّ علها العِدَّة ولها الميراث، ولها مَهر مثيلاتها من النساء، ثم قال: "إن كنتُ أصبتُ فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان".

فَسَمِعَه أحدُ الصَّحابة وقال: "لقد حكم فيها النَّبي -صلى الله عليه وسلم- بِمِثلِ مَا حَكَمتَ". فقال: "الحمد لله" رضي الله عن ابن مسعود.

فبعض الناس يَستعجل ولا يتأنَّى، وهذا خطير جدًّا.

ولهذا فإنَّ من الكلمات العظيمة عند العلماء أن يقول: "لا أدري".

- جاء أناسٌ إلى الإمامِ مالكٍ بن أنسٍ -رحمة الله عليه- يسألونه عن مسائل، قيل: أربعين مسألة، وقيل: أكثر من ذلك، فكان يقول: "لا أدري" فَسُئِلَ المسألة الثانية فقال: "لا أدري"، فسُئل المسألة الثالثة فقال: "لا أدري"، قالوا: سبحان الله! نأتيك من بعيد وتقول: "لا أدري"؟!

  قال: "ارجع إليهم وقل لهم: مالك بن أنس لا يدري".

- لو تَنظر في حالِ أبي بكر؛ كانَ يخاف مِنَ الفتوى ويتهيَّب مِنهَا، وعمر يقول: "اتَّهموا الرأي في الدِّين، لو رأيتني يوم أبي جندل وأنا أجادل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر..." [٧٠]، في قصَّة صلح الحديبيَّة، فهذه عبرة لنا، فإذا كانَ عمر يحذِّرنا من هذا، فكيف بنا!

  ويُنقل عن أبي بكر قوله: **"أيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟"** [٧١]، رضي الله عنهم وأرضاهم، فهؤلاء هم قدوة المسلمين.

- اشتهر عن المبتدعة -خصوصًا الرافضة- إنكار المسح على الخفين، ومخالفة سنَّة النبي -صلى الله عليه وسلم- الثَّابتة، فلا يرون المسح على الخفين، ويقولون: المسح على الرجلين.

وهذا لا شكَّ أنَّه مغالطة عظيمة وترك للحق، والعدول عنه إلى الباطل -نسأل الله العافية والسلامة.

ولهذا نصَّ العلماء في العقيدة على هذه المسألة؛ لأنَّها من المسائل التي خالف فيها الرافضة حتى صارت شعارًا لهم.

والمسح على الخفين يكون في السَّفر وفي الحضر، فلو رأينا شخصًا قال: أنا لا أريد المسح على الخفين تورعًا! نقول: تورُّعكَ هذا تورُّعٌ بارد لا خير فيه، عليك بسنَّة النبي -صلى الله عليه وسلم.

- الحج ركنٌ مِن أركانِ الإسلامِ، وهو الرُّكن الخامس، ويجبُ في العُمر مرَّة واحدة، وهكذا العُمرة تجبُ مرةً واحدةً، لكن وليَّ الأمرِ عليه أن يُقيمَ الحجَّ كلَّ سنةٍ للنَّاس، يُنظِّم شؤون الحجِّ ويُرتِّب أمورَه، ويبعث أميرًا للحجِّ، ويتحرَّى متى دخلَ الشَّهر، ومتى الوقوف بعرفة، ومتى يُدفعون من مِنى إلى عرفات، ومتى يُدفعون مِن

---

[٧٠] اتَّهِمُوا الرَّأْيَ عَلَى الدِّينِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْيِي اجْتِهَادًا، وَوَاللَّهِ مَا آلُو عَنِ الْحَقِّ وَذَلِكَ يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَالْكُفَّارُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِلله صلى الله عليه وسمل وأهل مكة فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا إنا قد صدقناك بما تقول ولكن تكتب باسمك اللهم قال فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيت عليهم حتى قال يا عمر تراني قد رضيت وتأبى قال فرضيت

[٧١] (1) رواه ابن أبي شيبة (136/6) .

عَرفاتٍ إلى مُزدلفة ثم إلى مِنى، فأمورُ الحجّ تحتاج إلى ترتيبٍ، فنحن نكونُ مع أميرِ المسلمين في الحجّ وأمراء الحجّ، وأوَّل أميرٍ للحجّ هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تولَّى شؤون الحجّ في حجَّةِ الوداعِ، ثمَّ أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، إلى يومنا هذا والحجُّ عليه أمير -والحمد لله.

ولا ينقطعُ الحجُّ إطلاقًا إلى قيامِ السَّاعة، لو قُدِّر أنَّ أميرًا ظالمًا ضالًّا خبيثَ المعتقدِ قال: لا حجَّ عليكم أيُّها المسلمون، هل يُلتفت إلى كلامه؟

- نحجُّ مع أميرِ الحجِّ سواء كان برًّا أو فاجرًا؛ لأنَّ هذا الفجور لا يضر، ففجوره على نفسه، لكن تقوم هذه الشَّعيرة مِن شعائرِ الإسلام وتثبت والحمد لله.

وهكذا الجهادُ، فالجهاد من أعظم شعائر الإسلام كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: **«وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»**[٧٢]، فالجهاد في سبيل الله -وهو قتال العدو في سبيل الله- **ينقسم إلى قسمين:**

1) جهاد دفع.
2) جهاد طلب.

- الجهاد له ضوابطٌ شَرعيَّة، **وله شُروطٌ، وله قواعدٌ مَعروفة عند العلماء.**
  - شروطٌ في إقامةِ الجِهَادِ نَفسِه.
  - وشروطٌ في المجاهِد الذي يُقاتِل وصفَتِه.

وقد تسقط بعض هذه الشُّروط في جِهَادِ الدَّفعِ،فإذا هَجَمَ العَدوُّعليك ووصل إلى بيتك، فتُدافع عَن حُرمَتِك، وتُدافع عن نَفسِك، وتُدافع عن عِرضِك، ولكن لابدَّ أن يكون مع ولي أمر المسلمين حتى تترتَّب شؤون المسلمين.

أمَّا أن يظنَّ ظانٌّ أنه لابدَّ مِن القتالِ كل يوم؛ فهذا الظنُّ في غير مَحِلِّه؛ لأنه ثبت في السُّنَّة أنَّه قبل يوم القيامة إذا نزل عيسى بن مريم وخرج يأجوج ومأجوج، فيقول الله لعيسى:

- ولا يجوز لبعض الناس أن يقولوا: لا نطيع الأمراء، ولا نخرج مع الأمراء، ولا نقاتل مع أمراء المسلمين، فهذا من الأغلاط العظيمة، ومن ضلالات الرافضة؛ لأن الرافضة يقولون: كل شيء يسقط حتى يخرج المهدي المنتظر فنخرج معه ونقاتل، فيسقطون شريعة الجهاد، أمَّا الإسلام فلا يقولون هذا.

فالإمام حتى لو كان فاجرًا أو فاسقًا أو ظالمًا أو ناقصًا؛ فالجهاد لا يكون إلا مع ولي الأمر.

- الجهادُ الشرعي الصحيح مع ولي أمر المسلمين بضوابطه الشرعية، فهذا فرض.

أما لو قيل: لا نسمع للأمير في إسقاط الجهاد، ونذهب نقاتل؛ فلا، لابد من سائس يسوس الناس، ولابد من قائد.

- عند الموت تأتي ملائكةُ الرَّحمةِ أو ملائكةُ العذابِ، ثمَّ يأتي مَلَكُ الموتِ لقبضِ الرُّوحِ، فيقبض روحَ العبدِ، ثم لا تدع الملائكة الرُّوحَ في يده؛ بل تضعها إمَّا في حنوطٍ وكفنٍ مِن الجنَّةِ، أو حنوطٍ وكفنٍ من النَّارِ -نسألُ الله جلَّ وعَلا أن يُحسِنَ خاتمتنا.

---

[٧٢] واه أحمد : 5 / 231، والترمذي ( 2616 ) وصححه ؛ والنسائي في الكبرى ( 11394 )،وابن ماجة(3973)،والطبراني في الكبير:131/20،130 ( 266 )، والحاكم : 2 / 412، 413، وصححه على شرطيهما، ووافقه الذهبي .

- مَلكُ الموتَ هذا هو اسمه في القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: 11]، بعضهم يقول: "عزرائيل" ولكن لا دليل على ذلك، فنقول مثلما جاء: "ملك الموت" ولا نسميه عزرائيل؛ لأنَّه ما جاءت في سُنَّة النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- هذه التَّسمِيَة.
- أيُّها المؤمن؛ استعد لهذه اللحظات بِحُسنِ الطاعة، وقوة الإيمان، وقراءة القرآن، والعمل الصالح والتوبة، والابتعاد عمَّا يُغضب الله -سبحانه وتعالى.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

## الدرس الثاني عشر

**الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.**

- الإيمان بعذاب القَبرِ وَنَعِيمِه هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، الإيمان بالفتنة التي تكون في القبر -وهي الاختبار- وبعدها إمَّا نَعيمٌ وَإمَّا عَذابٌ إلى قيام الساعة، فهذا مِن عَقِيدة أهلِ السُّنَّة والجماعة، دلَّ على هذا الأمر القُرآن وَسُنَّة النَّبي -صلى الله عليه وسلم- وأجمع على هذا أهل السنة والجماعة.
- وَمِن الأَدلَةِ على عَذابِ القَبرِ مِن القُرآنِ الكريمِ
  - مَا قَصَّه اللهُ على قَوم نوحٍ، فقال: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:25]، فهذا دليل على أنهم مُباشرة بعد الغرق أُدخلوا النَّار، فالفاء تدل على التعقيب بسرعة، وهذا يدل على ثُبوتِ عذاب القبر لهؤلاء.
  - وأيضًا في سورة إبراهيم قال الله -جلَّ وعَلا: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:27]، فالتثبيت هذا في الدنيا بأن يثبته على الإسلام حتى يموت، وفي الآخرة في القبر عندما يُسأل: مَن ربُّه؟ وما دينه؟ ومَن نبيُّه؟.
  - وفي سورة الرعد قال تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد:34].
- ✓ قال بعض العلماء: المقصود بقوله: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا يكون في القبر إذا ماتوا.
- ✓ وبعضهم قال: هو بالعقوبة والقتل إذا قام الجهاد في الدنيا، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:101].
  - **المرة الأولى:** إذا قام الجهاد، لما كان في غزوة بدر وغيرها، فيعذبون بالقتل والأسر.
  - **المرة الثانية:** عذاب القبر.

﴿**ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ أي: عذاب جهنم.

فهذه مواضع مِن القُرآن، وهناك مَواضِع أُخرى دَلَّت على أنَّ هناك عذاب يكون في القبر.

وإذا ثبت أنَّ هُناك عذاب للكفار في القبر، فيدل ذلك بمفهوم المخالفة على أنَّ المؤمنين يُنعَّمون في قبورهم إذا ماتوا.

- أَمَّا مِن السُّنة فقد جاءت أحاديث كثيرة جدًّا عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين وفي السنن وفي المسانيد عن عدد كبير من أصحاب النَّبي -صلى الله عليه وسلم.
  - ففي الحديث: قال -صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَا لَهُ**»[٧٣].
  - وفي صحيح البخاري ومسلم: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**».
  - وفي الصحيح أيضًا قال -صلى الله عليه وسلم: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»[٧٤].
- لا يُشرع أن نَشُقَّ جريدة ونضعها في القبور، أو أن نضع وَردًا؛ بل هذا من الابتداع في الدين، وما فعله النَّبي -صلى الله عليه وسلم- هذا خاص به، فقال: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»، فهذا خاص بالنبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يُقاس عليه غيره، وهو يُوحى إليه -صلى الله عليه وسلم.

**فلا يُشرع لأحدٍ أن يضع مثل ذلك عند القبور:**

- **أولًا:** لأنه لا يعلم هل يعذَّب أو يُنعَّم.
- **ثانيًا:** لأنه -صلى الله عليه وسلم- لم يفعل ذلك في جميع القبور.
- **ثالثًا:** الصحابة لم يفعلوا ذلك مع قبور المسلمين.

ولهذا فإنَّ مَن وضع هذا الشيء كالورد أو إكليل زهور؛ فهذه من عادات النَّصارى، ولا يجوز تقليدهم، وأمَّا النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو يُوحى إليه -صلوات الله وسلامه عليه.

فالأخبار عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- في عذاب القبر ونعيمه تواترت.

- فعذاب القبر ونعيمه من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي مبنية على الآيات القرآنية، وعلى الأحاديث النبوية.

وأمَّا المعتزلة العقلانيون فإنهم يُنكرون هذا بالتَّأويلات والتحريفات.

ولهذا نقول: مَن أنكر عذاب القبر ونعيمه فهو كافرٌ إن كذَّب خبر الله وخبر رسوله -صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا من الجحد والتَّكذيب، فالجحد للشريعة كفر مخرج من الملة.

- أمَّا مَن سَلَكَ سبيل التَّأويلِ والتَّحريفِ للنصوص فأنكر عذاب القبر من باب تحريف النصوص، ويقول: النصوص لا تدل عليه؛ فهذا مُبتدعٌ ضالٌّ عَن سَواءِ السَّبيلِ، وهذا دليلٌ على انحرافه وضلاله.

---

[٧٣] رواه النسائي 1293عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وفي صحيح مسلم 588 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ [وفي رواية : إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ] فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

[٧٤] البخاري (1309)

وهذه الأمور ليس مَرَدُّها العقل، هذه أمور غيب، فالجنَّةُ والنَّارُ غيبٌ، وكذلك العذاب في البرزخ غيبٌ، ومن صفات المؤمنين: أنهم يؤمنون بالغيب، فما دام أنَّ الله أخبرنا بهذا، وأخبرنا رسوله -صلى الله عليه وسلم- فنحن نُؤمِنُ بذلك وإن لم نشهد ذلك بأعييننا.

- وتعرفون قصة الرجل الذي قال لأولاده: "إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا من العالمين"[٧٥].

فَلَمَّا فَعَلوا بِهِ ذَلِكَ، قال الله -عزَّ وجلَّ- لأجزائه: كن؛ فكان"، واجتمع كله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117]، فالله خلق السماوات والأرض من عدم، وخلقنا وخلق كل شيء، أيعجز عن إعادتنا؟

لا يعجز -سبحانه وتعالى.

فكيف نعترض عليه ونقول: لا يقع عذاب ولا يقع نعيم!

- **اعلم أنَّ الدُّور ثلاثة:**
  - دار الدنيا: هي الحياة الدنيا.
  - دار البرزخ: وهي مؤقتة.
  - والدار الآخرة: وهي دار المقام.

- ☑ فدار الدنيا: تكون الأحكام فيها مُتعلقة بالجسدِ والروح تبع.
- ☑ والبرزخ: تكون الأحكام من عقوبة ونعيم متعلقة بالروح والجسد تبع.
- ☑ وفي الآخرة: يكون تمام الأمر للروح وللجسد سواء، فيصل إليهما من النعيم أو من العذاب ما يستحقه العبد.

- ويُشرع للمسلمين إذا قبروا الميت أن ينتظروا قليلًا بعد الدفن، فيقولون: "اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم ثبته على القول الثابت"، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا فرغ من دفن الميت قال: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْوَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[٧٦]، ولكن أنت لا تقول "إنه الآن يُسأل"، لأنك ما تدري، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يُوحى إليه، فأنت لا تدري أهو يُسأل الآن أم بعد قليل، الله أعلم، فتقول مثلما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْوَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ» ، فتقول: اللهم اغفر له، اللهم ثبته".

والقيام على القبر سنَّة، قال تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة:84]، فهذا للمنافقين، أمَّا المؤمنون فنصلي عليهم إذا ماتوا، ونقوم على قبورهم.

- تلقين الميت بدعة وليس سُنَّة، فبعض الناس يأتي عند القبر بعد الدفن ويقول: يا فلان -ويناديه باسمه- سيأتيك ملكان ويقولان لك: كذا، فقل لهم: كذا!!

---

[٧٥] البخاري (3294)
[٧٦] رواه أبو داود، وصححه الحاكم. وإسناده جيد حسن

هو الآن لا يسمعك، وكونه يسمع قرع النِّعال فهذا آية من آيات الله حتى يُبيّن له انقطاعه عن الدُّنيا، أمَّا أنَّه يسمع كل شيءٍ فلا ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [الروم:52]﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر:22]، فهؤلاء رأوا أهوالًا عظيمة فلا يسمعونك!

ولو كان التَّلقين سُنَّة لفعلها النبي -صلى الله عليه وسلم- وفعلها الصحابة، ولكن لم يرد هذا، وما نُقل في هذا المقام فهو ضعيف غير ثابت.

- إيماننا بعذاب القبر وبنعيم القبر وفتنة القبر نعتمد فيه على ما جاءت به الأخبار، يعني: الأحاديث والنُّصوص الشَّرعيَّة، وليس على الآراء أو الرُّؤى والمنامات، وليس على الأهواء، وليس تخرصًا، وليس ظنًّا، وليس قياسًا عقليًّا؛ لا، هذه أمور غيبيَّة.

- ثبت في السنن أنَّ القَبرَ إمَّا أن يكون روضة من رياض الجنة، وأنه يُفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، وكذلك يُفسح له في قبره مدَّ البصر، فيصير المكان فسيحًا بالنسبة له، مع أنه مكان ضيق؛ لأنَّ هذه الأمور متعلقة بالأرواح -كما تقدم- لأنها دار برزخ.

دارُ البرزخ ليست دارًا مستمرَّة، إنما هي محلُّ انتقالٍ، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[التكاثر:1]، يعني: موتكم وبقاؤكم فيها مثل: الزيارة، وبعدها تنتقلون للدار الآخرة إذا قامت القيامة الكبرى.

فالروضة من رياض الجنة قبر المؤمن، يُفسح له سبعون ذراعًا، ويُفتح له باب إلى الجنة.

وفي المقابل: الكافر والمنافق والفاجر يكون حفرة من حفر النيران، ويُفتح له بابٌ إلى النَّار يأتيه من سمومها وحميمها -نسأل الله العافية والسلامة.

- العقل الصحيح يدعوك لأن تسلِّم للخالق -جل جلاله- وهذا كتابه الحق المبين، وهذا رسوله محمد الأمين -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النازعات:40]، وهؤلاء أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقيَّة العشرة؛ فهم الذين نقلوا هذه الأخبار، وهذه كتب الحديث الثابتة الصحيحة.

- **وأوصي نفسي وإخواني المسلمين بمزيد التعلم**، ومزيد النظر في كلام الله حفظًا وتدبُّرًا وتفهُّمًا وعملًا وامتثالًا بالقرآن العظيم، وكذلك سنة النبي -صلى الله عليه وسلم.

- **وأوصي نفسي وإخواني المسلمين في كل الأرض بأن يتعلموا سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-** فهذا صحيح البخاري،وهذا صحيح مسلم، وهذه السنن يقرؤونها ويدرسونها على فهم العلماء المأمونين الراسخين في العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، يستفيدون منهم ومن شروحهم.

- **وكذلك أوصي إخواني المسلمين في كل الأرض بأن يلزموا عقيدة أهل السنة والجماعة**، عقيدة السلف الصالح، فهذه الطحاوية عقيدة مباركة، وكذلك العقيدة الواسطية، وكذلك كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وكذلك الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات، وكذلك العقيدة التدمرية، والعقيدة الحموية، وكذلك كتب السنة المتقدمة مثل: كتاب "السنة" لعبد الله بن أحمد بن حنبل، و "أصول السنة" للإمام

أحمد، وشرح "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"للالالكائي، وكذلك ما ذكره البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه، وفي كتاب الفتن، وفي أول كتاب الإيمان، وكذلك ما ذكره مسلم في مقدمته في أول الصحيح، وكذلك ما ذكره أئمة السنة؛ فمن هنا تعرف العقيدة، وهؤلاء أئمتنا وقاداتنا وسساداتنا، أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ومَن تبعهم من العلماء الذين ساروا على هذا المنهج الصحيح، منهج السلف الصالح. فيجب علينا أن نلزم هذا المنهج، وأن نستقيم على هذا المنهج ولا نحيد عنه.

**وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.**

